

ادباء حلب

ذوو الاثر

في القرن التاسع عشر.

تأليف

قطايي الحصى



طبع بنفقة مؤلده في المطبعة المارونية بحلب

سنة ١٩٢٥

طبع منها مئتي نسخة فقط

تذكاراً خالداً لاسم الجوهرة العادمة المثال ، عاشق العلم وشعلة الذكاء
والفهم ، قسيم البدر في طلعتة وكمالها ، مالك فؤادي المأسوف عليه ابد الدهر
حفيد العز يز هجري ألبير حمصي

قسطاكي الحمصي

تموز سنة ١٩٢٣



المقدمة

اننا لم نعتمد في هذه الرسالة الا ذكر ادباء القرن التاسع عشر من الحلبيين ،
اي من كان له شعر معروف او وصل الينا شيء من شعره ، وكذلك من كانت
له مشاركة في طائفة من العلوم وآثار مشهورة ، ولم نتعرض لترجمات الفقهاء ،
وعلماء علم بعينه كالنحو والطب

ولا بد لنا من التصريح باننا كتبنا هذه الترجمات ، دون ان نقف على شيء
منها لاحد الكتاب ، ثم جاءنا كتاب احد العلماء من خلالنا المخلصين يذبّ عنها
على ان بعض من ترجمنا عليهم نُشرت لهم ترجمات في بعض المجلات قبل صنيعنا
هذا ، واذ كنا لم نأخذ عنها شيئاً كما ذكرنا ، ولكنها كان لها السبق الى نشر ما
نشرته ، رأينا ان نعترف بفضل المتقدم ، كما اننا لم نكتم عن المطالع ما اقتضيناه من
ترجمة الشيخ الحوراني عن مجلة المقتبس حسبما سيرد بعد هذا ، وكما سنشير الى ما
النقطناه من بعض الافاضل في محله من هذه الترجمات

حلب في ٢٣ شباط سنة ١٩٢٥



فهرست ترجمات الكتاب

صفحة	عدد	
٣	١	ترجمة نصر الله الطراباسي
٥	٢	الشيخ حسين الغزي
٦	٣	انطوان الصقة
٨	٤	رزق الله حسون
١١	٥	جبرائيل الدلال
١٧	٦	عبدالله المرآش
٢٠	٧	فرنسيس المرآش
٣٠	٨	الشيخ محمد نور الدين الترماني
٣٢	٩	احمد الترماني
٣٣	١٠	عبد السلام الترماني
٣٩	١١	الحاج عطاء الله المدرس
٤٢	١٢	الست صريانا المرآش
٤٤	١٣	الشيخ ابراهيم الحوراني
٥٠	١٤	قاضي القضاة الشيخ بشير الغزي
٥٣	١٥	فيكتور خياط
٥٥	١٦	الحاج مصطفى الانطاكي الحابي

صفحة	عدد	
٥٩	١٧	ترجمة نصر الله الدلال
٦٠	١٨	الشيخ بكري الزهري الكاتب
٦١	١٩	الشيخ محمد الوراق
٣٢	٢٠	القس اوغسطين عازار
٦٥	٢١	عبد الله افندي الجابري
٦٦	٢٢	محمد اسعد الجابري
٦٧	٢٣	عبد الحميد الجابري
٦٧	٢٤	الحاج صديق الجابري
٦٨	٢٥	محمد نصوح الجابري
٦٩	٢٦	الحاج عبد الكريم بلّة
٧١	٢٧	الشيخ عبد الله سلطان
٧٤	٢٨	محمد ابو الوفاء الرفاعي
٨١	٢٩	السيد مصطفى الصائغ الحاي
٨٢	٣٠	محمد اغا الميري الشاعر
٨٣	٣١	جرجي بن ميخائيل العبديني
٨٥	٣٢	حبيب العبديني
٨٧	٣٣	الشيخ احمد المكناسي المحجوب
٨٩	٣٤	جرجي الكندرجي الحاي
٩٦	٣٥	عبد الفتاح الطرابيشي
٩٨	٣٦	احمد وهي الكتيبي
١٠٠	٣٧	عبد المسيح الانطاكي

صفحة	عدد	
١٠٣	٣٨	ترجمة الخوري جرجس الدلالة
١٠٥	٣٩	= السيد محمد ابو الهدى الصيادي
١٠٩	٤٠	= نقولا كي كباره



القسم الثاني

١١١	٤١	ترجمة الاستاذ ميخائيل الصقال
١١٥	٤٢	= الشيخ كامل الغزي
١١٩	٤٣	= عبد الحميد افندي الجابري
١٢١	٤٤	= الخورفسقفوس جرجس شاحت
١٢٤	٤٥	= السيد مسعود الكواكبي
١٢٦	٤٦	= الخورفسقفوس جرجس منش
١٢٨	٤٧	= باسيل الفراء
١٣١	٤٨	= الشيخ ابراهيم الكيالي
١٣٤	٤٩	= الخوري قسطنطين الخصري
١٣٦	٥٠	= مؤلف الكتاب

ثمنه عشرون غرشاً مصرياً ويُطلب من مكتبة العصر الجديد لاصحابها
لسادات قسطنون اخوان وشركاهم بمبلغ

١ نصر الله الطرابلسي ❖

هو نصر الله بن فتح الله بن بشارة المشهور بالطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٨٠ وكان وجيهاً ذكياً مقدماً جميل الوجه مليح القوام حسن البزة وكان معجباً بنفسه حتى كثر اعداؤه وكان مختصاً بقنصلية فرنسا بحلب وقيل انه كان نكاثاً، وسار عن حلب عقيب نكبة اصابته كاد يهلك بسببها ثم اكتفى الحاكم بسجنه واغريه ضريبة فقد بها كل ما ملك حتى عجز عن أداء باقيها فرفده جد هذا العاجز لأمه عبد الله الدلال احد صدور حلب بال وفي به ما عليه وسر خاتمه كما حدثنا بذلك المرحوم الخال جبرائيل فمدحه بقصيدة سياقي ذكرها ولما تخلص من السجن فارق حلب سنة ١٨٢٤ وورد مصر واتصل بحبيب البحري من بيت مجد فيها وكان هذا رئيس ديوان الكتاب في حكومة محمد علي باشا فاكرمه وعين له وظيفة في ديوانه واجرى عليه رزقاً حسنت به حاله واصبح من المقدمين عنده، ثم اتهم في اخلاصه وحسن طويته فنكب ثانية ولازم بيته الى آخر حياته فمات مهملًا كشيئاً وفيما يظن انه مات في حدود سنة ١٨٤٠

وله شعر كثير غير مجموع ولا مهذب وفيه الفث والسمن قال في مطلع قصيدة يمدح بها جوزيف لويس روسو وكان قنصلاً لفرنسا في حلب

لك الله من ظبي غدا يقنص الاسدا
أجهلاً رميت الصب باللعظ ام عمدا

وقال يمدح الامبراطور نابوليون الاول ويهنئه بمولده ولي عهده سنة ١٨١١

ورد البشير فسرت الاقطارُ وترونت في دوحها الاطيارُ
ومنها :

يا ايها الملك الذي دانت له اا دنيا وقد خضعت له الاقدار
انخر على كل الملوك على بما اعطاك ربك واحد قهار
ومنها :

عميت بصائرهم فلما يعلموا ان البسيطة كلها لك دار
لا تستقر على الدوام بموضع هل يستقر الكوكب الحيار
ومن قصيدة اخرى

أعيدي زورة المضي أعيدي فليل الرصل عندي يوم عيد
مؤآفة النفار فجعت فيه امالك عن صدود من صدود
وقال يمدح عبدالله الدلال

يا للهوى ما للعذول ومالي انا قد رضيت بكافة الاحوال
ياحو ولا يدري ايقبل عاشق صمت مسامحه عن العذال
ومنها :

ان ارخصتني الحادثات فان لي فضلاً على رغم الامادي خالي
ومنها :

واذا اقتضاك الدهر نقصد ماجدا ذا همه فعليك بالمفضال
الندب عبد الله نخر اوانه نسل الاماجد من بني الدلال
فهو الذي يشري الثناء بماله ويزين الاقوال بالافعال



وهو الذي لم يخل قط زمانه من غوث ملهوف وبذل نوال

*

**

آ الشيخ حسين الغزّي

ولد في مدينة غزة سنة ١٢٣٥ هـ ١٨١٩ م ودرس فيها ثم قصد الجامع
لازهر بمصر ثم انتقل الى مدينة طرابلس ولما اشتهر فضله وكانت يومئذ
طلب في حاجة الى عالم كبير، دعاه احد وجهاء حلب اليها وبنى له مدرسة
بجامع السيّافية بها وظل يدرس ويكثر مريدوه وطلاب العلم حوله
ل ان ادركته الوفاة سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

وكان اماماً في علوم الشريعة والحديث والمنطق واللغة والادب حسن
ليان، بصيراً باساليب التعليم، تخرج عليه كثير من العلماء وله شعر كثير
ال في مطلع قصيدة

قلب مجده به الغرام ويعبث ويميته الحب المبيد ويعبث

انا في هواه شج اجوب حزونه سبراً فما انا فيه اغبر اشعث

ومن قصيدة اخرى

كف الحافظك المراض الصمحا لست اقوى ولا اطيق السلاحا

ليت شعري ما كان ذنبي حتى ادخلتني سود العيون الجراحا

وله قصيدة بميلاد ابنه صديقنا الاعز الشيخ كامل الآتي الذكر يقول

سيفه مطلعها :

كم لفضل الاله من بعد يأس نعم اذهبت همومي وبؤسي
وبمشك ختامها يؤرخ مولد المومي اليه بقوله
وصلاة على محمد الها دي وآل ما طاب تاريخ غرمي
١٢٧٠

وعلى الجملة فشعره كثر كثير من العلماء

٢ ❖ انطون الصقال ❖

هو انطون بن ميخائيل الصقال ولد في حلب سنة ١٨٢٤ وتوفي بها

سنة ١٨٨٥

علم من اعلام حلب ، وامام من ائمة الادب ، يملأ الدلو الى عقد الكرب
درس في مدرسة عين ورقة من لبنان واثقن بها العربية والسريانية ثم درس
التركية والانكليزية وكان يكتب بهما وكان مليح الطلعة ربعة القوام
وقوراً ، قليل المزاح ، شديداً على خصمه حازماً ، ثابت العزم ، جريئاً ايأاً جسيم
الرأي ، صناع اليدين حسن الخط مليح الصوت ، فصيح الكلام ولوعاً بالموسيقى
يضرب بمختلف آلاتها وله كتاب ربط فيه كثيراً من الاغاني شبيه بكتب
الخطوط والانغام الموسيقية الفرنجية (كتب النوطه)

وكانت له مشاركة في العلوم الطبيعية والرياضية ، اقام في مدينة مالطه
مدة يصحح الكتب العربية في مطبعتها ويدرّس العربية في إحدى مدارمها
وفيها ولد له صديقنا الابر ميخائيل الصقال الآتي الذكر . ودخل في الجيش

الانكليزي ترجمانا في حرب القرم ثم عاد الى حلب وتوفي فيها كما تقدم
وله كتاب الاسهم النارية وهو رواية ضمنها بعض الوقائع الهلالية ، وله رواية
اخرى لم يصلنا اسمها وديوان شعر ولم يطبع من ذلك شيء ، وله مقالات
بالجرائد والهلالات باسم مستعار ، وكانت بينه وبين فرنسيس المراسل ونصر
الله الدلال وغيرهما من فضلاء معاصريه مجالسات ومطارحات وممدوح
قال يمدح صديقه نصر الله الدلال خال كاتب هذه الرسالة وهي من
محاسن شعره :

طاوعت فيه صبايبي فقصاني وقلبت فيه معني فسلاني
ما كنت ادري العشق يفعل بالفتى فعل النسيم باهيف الاغصان
ومنها :

مالي وللعدال لا سلمت لهم عللّ تقوم بفاسد البرهان
فالدهر ميدان به دول النهى تجري مع البرهان جري رهان
ومنها في المدح

شهم اذا ما استل سيف يراعه شمت الضلال بخر اللاذقان
ان يرضّ للعليا الرضى فلطالما نزلت اليه تود منه تداني
ومن قصيدة اخرى

عسى للجفا عهد فيرجى انصرامه فان رضيع الحب صعب فطامه
وهل بعد ذاك البصد كف لدمع لقد طال في تلك الطلول انسجامه
وهل ذلك الوجه المنير بعيدنا على كد ام ظل يزهو ابتسامه

وله قصيدة قافيتها عين على تعدد معانيها عند العرب وقد بعث بها الى
بعض اصحابه في وت قال في مطلعها

اهيل الحمى تصبو لراكم عيني فختي م تبغون التجافي على عين
حفظت لكم ودأ على القرب والنوى ولكنكم ما زلت اصدقا عين
ومنها :

سقى الله يوم الحرش ما كان عهد سوى حُلُمٍ قد مرَّ في تلکم العين
ومنها :

يكافني السلوان عنه وما ردى بأني فيه لا اميل الى العين
وجملة شعره مهذب على هذا النحو

٤ ﴿ رزق الله حسون ﴾

هو رزق الله بن نعمة الله حسون ولد في جلب سنة ١٨٢٥ وتوفي في
لندن نحو سنة ١٨٨٠

كاتب تصرف في الشعر والانشاء ، كما يتصرف بالعيد الامراء ، اطال
واوجز ، واختصر واعجز ، شن على الحكومة التركية بقلمه فارة شعواء ، وقضى
بعيداً عن بلاده وفي نفسه منها اشياء .

درس في مدرسة دير بزمار ببلبنان ثم قصد القسطنطينية واتصل بفؤاد
باشا الوزير المشهور الى ان جاء هذا سوريا سنة ١٨٦٠ في الخطب
المعروف بمجادثة الشام فاصطحبه وقلده ترجمة اوامره فيها الى العربية ثم عاد
معه الى القسطنطينية فقلده نظارة مكس الدخان (التبغ) فاتهم بتقص فاحش
في مال خزيتها ووشي به فسجن ثم هرب من السجن وبعد ان قصد
كثيراً من البلاد التي عصا الترحال في مدينة لندن

وكان منجراً في العربية وسائر فنونها ، مطلعاً على اخبار العرب راوياً
 لاشعارها ، لا يرضيه غير شعر جاهليتها ، وكان يحيز لنفسه ما ورد في شعرها
 من الزخافات والسنادات ، وسائر عيوب الشعر التي جمعها الخليل وتحماتها .
 الشعراء من بعده ، وله شعر كثير فيه شيء وافر من ذلك وقد طبع منه اشعر
 الشعر وهو ستة اسفار من التوراة نظمها واحسن في بعضها كل الاحسان
 وله رسالة سماها النفثات عربياً نظماً ونثرأ عن كركوف شاعر الصقابة
 وهي بحكم مروية على السن الطير والبهائم شبيهة بكايلا ودمنة ، وفي بعضها
 من حسن السبك والانسجام ما حرى على السنة قرائها في العربية مجرّعة
 الامثال كقوله في ختام القصيدة المعنونة بشركة الاربعة المتفقة

اننى اشتبهتم فكونوا الجالسين فما

على يديكم تأت نعمة الطرب

ومن نظمه يتشوق الى ولده ألبير في جزيرة الامراء بالقسطنطينية

نفحات الشمال حيّ الجزيرة حيّ ألبير واستزيدي سروره

راح يرح في الرياض وطوراً كفزال البقاع يبيدي نفوره

شبهه ليس في بني الناس لكن في الملائك صورة وسريره

نزل الحسن والبهاء عليه خالق الحسن آية مشهورة

قد تخيلته بفكري وقلبي نازع يجتلي على العبد نوره

حجبوني في حجرة وحموا عن مغلتي ان يزورني او ازوره

يا صبيّاً على حداثة سنٍ يكتم السر لا يزيج ستوره

ارقد الليل فوق مدري من عكس الضياء على محياك صوره

ما تأملتُها بكيت التباعاً ضارعاً ان تراك عيني قريره
وله ايضاً من السجن يستعطف فؤاد باشا
فؤاد هذا الملك عطفاً طمّ غرسك يذوي في شقا محنته
ان لم تفت عبدك من ذا الذي يحميه او ينجيهِ من نكبته
ومنها :

ارحم عبيداً لك واستبقه للولد المحبوب من مهجته
فوالذي حقق ظني بما ارجو من الانصاف او رحمة
امسيت في الحبس كفرخ القطا من كرب الحزن ومن شدته

وكان اشعر ما يكون اذا تعرض للهجاء ، وكان بصيراً بنقد اغلاط سواء
كما ظهر مما كتبه في الرد على العلامة احمد فارس وسواه ، على انه مع رسوخ
قدمه في معرفة اللغة وشواردها وادابها ووقوفه على كثير من نوادر كتبها
في العلم والشعر ونسخه كثيراً منها من جوامع القسطنطينية ومكاتب اوربا
قد بدرت من قلمه في الشعر والنثر هفوات كثيرة كقوله في جمع المغارة
مغائر بدل مغاور وكقوله خصم الحساب بمعنى قطاع الحساب ولعل لفظ
حسم اقرب الى المعنى وهي عامية . وكل ذلك عجيب وقوعه من قلمه مع
رسوخه في علوم اللغة كما ذكرنا

ثم لما امتدت به النكبة التي عصا الترحال في بلد لندن ، وأكثر ما
وصل اليها من شعره ونثره كان مما كتبه فيه ، وكأنه لما يش من العود
الى بلاده اعاد نشر جر يده مرآة الاحوال وكان نشرها في القسطنطينية
مدة وكان يكتبها في لندن بخطه الحسن ويطبعها على الحجر على ورق
صقيل رقيق جداً ثم يبعث بها في البريد في غلاف مختومة الى اطراف

الارض وفيها من الفصول الشائقة ومقالات الانتقاد عَلَى سياسة الحكومة
العثمانية يومئذ والتنديد برجالها والتشجيع عَلَى جور عمالها وطرق ارتكابهم في
مظالمهم ما ايقظ الجفون وحرك السكون ولم يزل ينشرها حتى ادركته
المنون . ومما يروى له هذان البيتان

قدر الله ان اموت غرباً في بلاد اساق كرها اليها
وبقلي مخبئات معان نزلت آية الحجاب عليها

وقال لي بعض الادباء انه رآهما في كتاب من كتب الادب لشاعر
قديم وقد صح ذلك بشهادة غير واحد من الادباء فكأنه تمثل بهما مرة
فظن راؤيهما عنه انهما له .

◦ جبرائيل الدلال

هو خال كاتب هذه الرسالة ، وكان اقرب الامل اليه واعزهم
لديه ، أختصر ترجمته هنا عما ورد في السحر الحلال في شعر الدلال لكاتب
هذه الرسالة

ولد جبرائيل عبد الله الدلال بحلب في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ وتوفي
بها في ٢٤ من كانون الاول سنة ١٨٩٢

علم من اعلام الفضل و بدر من بدور الشهباء ، بلى انسان عين الظرف
والنبيل وآية النباهة والذكاء . تفجرت ينابيع الفصاحة عَلَى لسانه ، وانقادت
ابكار المعاني طائفة لبنانه . فاللؤلؤ منظومه ، والوشى مرقومه ، ذو فكرة تسترق
حر الكلام ، وقرينة تؤلف بدائم النظام ، و بيان يصور ادق الاوهام للافهام
فتنبلي كالحقائق ، ويصوغ الطف التخيلات والاشارات بكل لفظ رائق ،

سقاء الدهر كأسى صفوه وكدره ، والبسه ثوبي بؤسه واشره ، وما زال بين
نحوس وسعود ، وهبوط وصعود ، الى ان دعاه داعي الموت ، فقضى فجأة
في اضيق السجون .

وهو سليل بيت كريم من اعرق بيوتات حلب في العز والجاه ، فنشأ في
بيت ابيه عبد الله الدلال ومجلسه اذ ذاك منتدى الفضلاء ومثابة النبلاء
يقصده ادباء الوقت وشعراؤه كفتح الله المراسي والد فرنسيس وعبد الله
والست مريانا المشهورين ، ونصر الله الطرابلسي الحلبي المتقدم الذكر ، وكان
والد صاحب الترجمة يحب العلم وبنيه ، ويكرم الادب وذويه . . .
وكان المترجم له عارفاً بالفرنسوية والاطليانية والتركية ، يكتب بها جميعاً
ولا سيما الفرنسية . فانه كان كواحد من ادبائها ، اما العربية وعلومها ، فكان
ناطقة من نوابغها ، وكانت له مشاركة في اكثر العلوم والفنون المصرية ودرس
قليلاً فن التصوير فاصاب شيئاً منه ، وكان شديد الولوع بالغناء ، عارفاً بفن
الموسيقى متمكناً من علمي الجغرافية والتاريخ وله رسالة في التاريخ العام غير
كاملة ، وكان يحرز حصة حسنة من العلوم الرياضية والفلسفة والطب فكان
صدره اشبه بمخزانة علوم وفنون .

وكان طيب الحديث لسناً فصيحاً شاعراً متفنناً حاد الذهن سريع التصور
حلو العشرة لطيف الشائل خفيف الروح ، صحيح الانتقاد سريعاً يميل الى
المزاح ، جهير الصوت ، طويل القامة ، كبير الجسم ممتلئ ، كأنه الموصوف
بقول الشاعر

جهير الكلام جهير العطاس جهيرُ الرواء جهير النغم
ويخطو على الأبن خطو الظلم ويعلو الرجال بمخلاق عجم

وكان قوي البنية ، ابيض اللون ، صبيح الوجه ، كبير الرأس ، اشقر الشعر ، ازرق العينين ، احمر البصر لا تفارق الزجاجات عينيه الا عند القراءة والنوم ، وكان الغالب على طباعه سلامة الصدر ، وكثرة الوفاء ، وحرية الفكر وبالجملة فقد كان جميل الطلعة ، جليل المنظر ، عزيز المقام ، موقراً لدى خاظة الناس وعامتهم .

طاف في كثير من الاقطار بين آسيا واروبا وافريقيا ، وشعره كثير لكنه لم يكن يعني بجمعه ، وقد جمعنا له منه حصة يسيرة في رسالة ترجمناه فيها وعنوانها السحر الحلال في شعر الدلال وطبعناها في مصر سنة ١٩٠٣ فمن ذلك قوله

يا من اقبل الشجي تعد وزاد دلاً جفاهُ والصد
مهلاً خف الله في محب فؤاده بالفرام يوقد
ومنها :

بالله يا مقلتيه رفقاً مضنا كما قد تجاوز الحد
وانتما يا نهديه صدري عليكم حسرة انهد
ومن قصيدة

لا تعذل المشتاق في احواله فتزيده شوقاً بحب غزاله
صب كئيب مغرم لا تنتفي اوقات طيب الوصل من اماله
يحيا بتذكار الحبيب ووصله ويموت بين دلاله وملاله
وقال في باريز ينشوق الى حلب
حباً الحياتلك المغاني الفساح
كم في فناها هام صب فساح

ومنها :

هيمه ذكر زمان مضي	ساعده السعد به والنجاح
وطيب وقت مر مع ظبية	في وجتها للحياء انقاس
ومجاس زاه نغنت به	بلابل تطربنا بالصياح
ايام وصل نتعاطى بها	من خمرة الحب كؤوساً طفاح
في ظل روض حجت شمس	غبوقه يدمو الى الاصطباح
أن به الرعد فابكى الحيا	وردد القمري شجواً وناح

ومنها :

قمنا وحسن الظن اجري بنا	فخرمة العشاق لا تستباح
امقات انس كنت وآحسرتي	خلوا بها اسحب ذيل المراح

ومنها :

هنا وصحي ذكرهم خالد	في خلدي لم يحبه قط واح
فهل ترى يرجع ما مر لي	معكم من اللذات والانشراح

ومن صدر قصيدة بعث بها الى صديقه فرانسيس المراه المشهور

الآتي الذكر

لي النجم في ليل افاقيه شاهد	باني مشوق ساهر الطرف شاهد
-----------------------------	---------------------------

ومنها :

وجاد الحيا تلك الربوع واهلها	فهم لي من الدنيا المني والمقاصد
مواطن عزي والشيبة والصفاء	مناهل انس قد صفت وموارد

ومنها :

فيا ايها المراه من انت بينهم	عشير الصبا الحل الوفي المساعد
------------------------------	-------------------------------

اندري بما قلبي يحن من الولا وما كبدى شوقاً اليك تكابد
وكتب الي في صبح يوم رقت حواشيه وطاب الصبوح فيه .
يا من براءه وطيبه ب حديثه تجلي غمومي
يا مؤنسي عند اللقاء . وبهجتي عند القدوم
يا فرع دوح المكرما ت الغرة والفخر الجسم
من محدد العز الوسي م ومنبت الاصل الكريم
ومنها :

يا نور عيني يا حبيب بي يا جليسي يا نديمي
مجل الشقيقة ان ه ذا اليوم معتل النسيم
نسجت به ايدي الصبا للشمس ستراً من غيوم
ومنها :

فأنهض لنعتنم السرو ر بطردنا جيش الهموم
أترك فلاسفة القرو ن تخوض بالبحث السديمي
واقول اصل الناس من طين ومن قرير ذميم
ومنها :

دع عنك اجهاد القريم ة في مطارحة العلوم
قالى م نهمل راحة الا رواح في تعب الجسم
وله موشح

اذاع ستراً اصونه سقمي وما جرى قط ذكره بقمي
واعيني فصحت وقد فضحت ما في فؤادي من لوعة الالم
فيظهر وهو لا يقال ويذكر دون ما سؤال

صبري كصدر من الجوى حرج فان ابح ما عليّ من حرج
ونار هجر الحبيب ان لفتت تطفي بدمع يفيض كاللجج
اذا مر طيفه ومال وزور زورة الخيال

ومنه :

قوامك الغضُّ زين بالهيف وجسمك البضُّ خص بالترف
وغرة الحسن فيك ما برحت تشيك تيبها بالعجب والصلف
تبخره وآزه بالجمال فما ضرّ لطفك الدلال

وبهذا القدر من قلائده كفاية

(وجلة خبر مجته انه كان ألف في حدائته قصيدة سماها العرش
والهيكل طبعت في مرسييا وقد طعن فيها اشد الطعن على الملوك المستبدين
فوشى بذلك عارف باشا والي حلب وناظم بك كاتم سره يومئذ (مكتوبجي)
لعبارة 'نقلت اليها على لسانه نقماها على المنرجم له ، ولم تكد تصل
هذه الوشاية قصر السلطان عبد الحميد الظالم حتى صدر امره بالسلك
البرقي بسجنه) ففضى فيه عامين كانا عار الزمن اللثيم ، وعيد العصر السقيم ،
فضى في ختامهما فجأة بداء القلب في صبح الرابع والعشرين من شهر
كانون الاول سنة ١٨٩٢ عن ستة وخمسين عاماً زجاها بين اسفار مستمرة
واحوال مرة وهموم مستمرة وهو يقاوم امواج الخطوب ، يلاقي اعصار
السكروب ، وسفينة حظه تعوم فنتقهقر ، وخطواته الى المغالي تكاد في
الهواء لتعثر ، وسهمه يطيش فلا يصيب ، وقد اطرب نعيب الغربان وما
اطرب هذا العندليب ، فسبحان ميسر البخوت ورافم القهوت ، ولما ذاع في
المدينة نعيه ، واظلم ذلك اليوم واكفهرت عشية ، تقاطر آله واصحابه

ونقلوه على عربة الى منزله والاداب تبكي وتعمل عليه ، والقريض يندب ويولول حوالبه ، وقد اندك للمكارم طود من ارفع الاطواد ، وتقوض للعلوم دعما واي عماد وهوى نجم الفصاحة اللامع وغار بدر المعارف الساطع

٦ ❖ عبد الله المراسي ❖

لا نجد بدأ من نقل ما كتبه علامة العصر الاخ الحبيب الشيخ ابراهيم اليازجي في ضياء السنة الثانية عند اخذه نعيه :

• ورد علينا من انباء مرسيليا ما شق على المسامع والقلوب ، وتلقته الصدور بالانقباص والجباه بالقطوب ، الا وهو نبي وطنينا العالم النحرير المحقق ، والكاتب البليغ المتأنق ، المرحوم عبد الله المراسي الشهير احد نوابغ العصر الحالي ، بل احد كواكب التريق الذي حسدنا عليه الغرب فاستأثرنا به في اخرى الليالي

ودونك ما قاله في ترجمته : هو الطيب الذكر عبد الله بن فتح الله المراسي وشقيق المرحوم فرنسيس المراسي الشاعر الكاتب المشهور من اسرة عريقة في الفضل والوجاهة معروفة بالعلم والادب ولد في حلب في ١٤ ايار سنة ١٨٣٩ ونشأ بها وتأدب على والده وغيره فتلقى في حداثته مبادئ علوم العربية والخط والحساب ، ثم دخل في اعمال التجارة فتخرج في فنونها ولما بدت نجاحاته فيها اتدبه جماعة من جلة تجار حلب اعقد شركة تجارية ينشي لها محلا في منشستر من بلاد الانكليز ، فسافر اليها في سنة ١٨٦١ ولبث بها الى سنة ١٨٦٩ واشتهر بما كان عليه من الامانة والدراية فكان له مقام محمود بين معامليه . . الى ان قال ثم انتقل سنة ١٨٧٠ الى باريس

فلبث بها الى سنة ١٨٨٢ وبعد ذلك فارقها الى مرسيليا والتي بها عصاه ولم يزل مقبلاً بها الى ان توفاه الله في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ . الى ان يقول :

على انه كان على حظ من الدنيا بلغ به مبلغ ارضى وهو الغنى كله ، فلم يكن بعد ذلك يحرص على حشد الدينار ، ولا يعاني الكسب ، ولكنه انصرف الى المطالعة والتوسع في العلم ، وهو ما لم ينقطع عنه قط مع اشتغاله بالتجارة ايضاً . فانه كان كثير الاختلاف الى مكاتب اندرا وباريز يتصفح ما فيها من الاسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطية منها ، فادرك حظاً وافراً من لغة العرب وتواريخهم وادابهم وانتسخ منها عدة كتب عزيزة ورسائل اخرى كلها من غرر اثار الاقدمين ونوادر تأليفهم ، انتسخها بخطه مع العناية والتدقيق في مقابلتها وتصحيحها ، وكان مليح الخط نقي الرقعة كثير الناق كالكثير خطاطي حلب . .

وكان رحمه الله من اكابر اهل الانشاء حسن الترسل سهل العبارة واضح الاسلوب ، بصيراً باختيار الالفاظ والتراكيب ، حسن النقد ، حريصاً على البلاغة ووضوح المعاني ، آخذاً بالنصيب الاوفر من قوالب فصحاء العرب ، والفاظ الخاصة من اهل الادب ، وكان مع ذلك متقناً للغة الانكليزية والفرنسوية والاطليانية ، يكتب فيهن جميعاً ، وكان له باع طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاخلاق والاديان والشرائع المختلفة ، مشاركاً في كثير من علوم المعاصرين كالطبيعية والهيئة وسائر الفنون الرياضية ، وكان بصيراً بالسياسة مطلعاً على اسرارها ودقائقها ، وله في كل ذلك مقالات ورسائل شتى ، منها ما هو باق بخطه ، ومنها ما نشر في بعض الجرائد العربية

في لندن وباريز وجراوند ومجلات القطر المصري

• واما صفاته الشخصية فقد كان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض اللون طلق الهيا فصيح اللسان مهذب المنطق واسع الرواية لطيف المذاكرة وقد اتيح لنا لقائه عند مرورنا في مرسيليا في اواخر سنة ١٨٩٥ وهو في نحو السابعة والخمسين من عمره وقد عمه الشيب وانضجته السن والتجربة ، فالفينا فيه رجلا جليل القدر كامل الصفات ، قد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيين واريحية العرب ، وكان على اعظم جانب من الزهد وخفض الجناح بعيدا عن الزهو والخيلاء ، منزها عن الدعوى والكبر ، حتى انه مع سعة فضله مرسوخ قدمه في العلم والانشاء ، واجماع المطالعين على استحسان كلامه كان يتفادى من ذكر اسمه في اكثر ما كتبه وما طبع له ويشترط ذلك على كل من يروم نشر شيء من اثاره ، وهذا ولا جرم من عنوان تمهـام فضله ونهايه في الكمالات الانسانية اهـ

هذا ما رأينا اختصاره عن الضياء

واول عهدنا به في باريز ، وكان يستنفر الاربعين وكنا نستقبل العشرين ، ومنذ يومئذ اتصلت بيننا مراسلة لم يزلها مر السنين الا تمكين ود واخلاص ، الى ان قدر لنا الاجتماع ثانية في مرسيليا في اواخر سنة ١٨٩٢ واولئل سنة ١٨٩٣ وظللنا بها اشهرآ ولم نكن نخلو يوماً من الاجتماع بهـ والتمتع بمحادثته وحلو عشرته ، وكان اذا استبطأ قدومنا اليه اسرع الى منزلنا وكان يعلم ما بيننا وبين الاخ الحبيب الشيخ ابراهيم اليازجي من الود القديم والولاء الصميم وبود الاجتماع به ومكاتبته ، وكنا من قبل ذلك اعلمنا الشيخ بمنزله وفضله وما بيننا من حقوق الود والمواطنة ، وكان الشيخ شديد الشوق

الى لقائه ، فلما التقيا في مرسيليا كتب الاخ المرش الينا يقول - اذ كنا
واسطة تعارفهما - : قد اسعدني الزمن بلقاء صديقكم الاجل الامام اليازجي
وما زلت منذ دهر طويل ولا سيما بعد فراقكم اتشوق الى لقائه والاجتماع به
واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغرة الخبر الخبر
وكتب اليا الشيخ يقول : قد رأينا صاحبكم كوكب المشرق طالعا في
سما المغرب فشاهدناه كما وصفتموه وفوق الوصف

وكان لصاحب الترجمة معرفة بحسب و بينهما صداقة ومعاشرة طويلة
وكان ينشر في مرآة الاحوال بلندرا مقالات سياسية في غاية الاصابة ويضيها
باسم انكليزي مستعار ، وكان ينشر في برجيس باريز مثل ذلك وهي جريدة
قديمة كان ينشرها في باريز الكونت رشيد الدحداح
وكننا نود الاطالة في هذه الترجمة قضاء لحقوق الود ، وفيما بما تستدعيه
مرتبة هذا الامام من العلم ، ولعلنا نتمكن من ذلك في موضع اخر

٧ ❖ فرنسيس المرش ❖

ولد بحلب سنة ١٨٣٥ وتوفي بها سنة ١٨٧٤

هو ابن فتح الله المرش احد افراد قطره ووحيد مصره علما وذكاء
وشقيق المترجم المتقدم واحد افراد العصر الاخير ، ونايعة من نوابغ الشعراء
ذوي النظم الغزير والثر الكثير ، لطيف التخيل بعيد عن التكلف ، قد جانب
العمل والتعقيد والتعسف ، يباري فكره البرق ، ولا يجارى في سبق
متدفق القريحة ، حاد البادرة ، غزير المادة ، ماضي السليقة ، ملأت
شهرته الاقطار العربية ، ولا سيما البلاد المصرية ، ولم نزل نحفظ عن روى

لنا من اصدقاء هذا البيت ان العلامة عبد الله هو البكر ، حتى عاودنا قراءة رسالة عنوانها رحلة باريس للمترجم فرأيناه يقول فيها : « وفي اليوم الواقع في ٧ ايلول سنة ١٨٦٦ وانا داخل في دائرة الثلاثين - يريد من العمر - خرجت من ابواب الشهباء » فصيح عندي انه هو البكر وانه ولد في سنة ١٨٣٥ اذ كان مولد اخيه عبد الله سنة ١٨٣٧ كما تقدم ، وهنا ننقل ترجمته الى سن الثلاثين عن رسالته المذكورة بالحرف قال : فلما ادركت رشدي وبلغت اشدي دخلت هذا العالم لالتجسس وارى كيف يجب اعتباره مني ، وعلى اي وجه ، وبالنسبة الى اي مادة . . .

فلم اجد بضاعة اشرف من انتقاد هذه الحوادث والبحث عن حركات هذا العالم ، رغبة بنيل علم الميخانات حولي والمقدرة على التآسي في امي الدنيا ، غير ملتفت الى ما رأيت من الدور الذي يلحق بتيمة هذه البضاعة

فانخرطت في سلك طلبة العلم واخذت اخوض تلك العباب التي ليس لها قرار وانا في سن الاربعة عشر ، ولم ازل انجم مع الباضعين حتى بلغت العشرين وهنا شرعت امتحن نفسي لارى ماذا جنيت من الثمرات ، فلم اجد في مخيلتي حينئذ سوى كمية وافرة من الوف مسائل ومشاكل العلم العربي ، ولم اعثر في خزائني غير على كتب مطولات ومختصرات في النحو والصرف وما ياحتهما . واذا تأملت الفائدة لم اجدها سوى نظم الشعر ، فها انا شاعر اذا اراد شعراء العصر . ولكنني رأيت جملة اضرار تقابل هذه الفائدة وئنازعها الوجود ، وهي اولاً كساد سوق الشعر ومقت العامة له جهلاً بشرفه وكونه صناعة لا يوجد في عالم الادب اجل منها ، ومزية اودعها الله في

الانفس التي شاء لها الانفراد . . .

فاوحت اليّ كراحتي تلك الفائدة المفتداة بانخر سني حياتي ان انمكف الى طلب العلوم العالية والافات ، فاخذت اتبع اثرها . عند علماء ماهرين ان يكن من بني المغرب او من اولاد المشرق . وصرت اخلو بنفسني منكباً على الدراسة ليلا ونهاراً ، ولم البث ان اتفق لي احد مهرة اطباء الانكليز ، فالتقيت ثقلتي على مسابرة و بدأت ادرس عليه العلوم الطبية وانا في سن الخمسة والعشرين ولم ازل ان هضمت اربع سنين كوامل على مأيدة هذه الدراسة حتى صرت طبيباً على رأي المعلم وجهولا لدى نقول 'المدارس ' فشرعت اباشر الامراض متلاعباً بصناعة ابيوقراط ، وداومت على ذلك نحو سنة ، ثم اوعز اليّ ضميري ان ارحل الى مدينة باريس محط عرش الفرنسيين لكي انضم في سلك مدرستها الشهيرة حيثما يأخذ الدارس حقه ويحصل على ما لا يوجد خارجاً

وفي اليوم الواقع في ٧ ايلول سنة ١٨٦٦ وانا داخل في دائرة الثلثين خرجت من ابواب الشهباء الخ «

وقد اجاد في وصف الطريق انني قطعها بين حلب والاسكندرونه غاية الاجادة ، وهو كان ولوعاً بالانشيبه والجاز ، ولا عجب فانه كان ذا فطرة شعرية الى غاية ليس وراءها غاية قال :

« فما بلغت الاسكندرونه ميناء حلب ، الا وانا نضو التعب والوصب لان المشقة التي كاببتها في طي هذه الشقة كانت غاية

اوعار ملقاة في وسط الطريق كأنها امواج البحر الجامد معدة لتمزيق سفن البر ، قفار محرقه لا ينبت فيها سوى شوك القتاد وهوام السموم

صخور منفردة في العراض الخالية كأن الايام نفخرتها والرياح صقلتها لتكون
اوقاذا لمضارب الخراب والكثابة ، جبال صلحاء القمم معممة بسحب القتسام
ولا مزية لها سوى الشمخ الى السماء فهي كالجامل المتكبر والاحق المدعي
تلال وعرة خشنة وهضاب مجدبة ممحلة منفردة كالاصوص في درب ابناء
السبيل لنهب راحتهم وقطع طريقهم وتهشيم حوافر دوابهم ، وهي ليست
مأهولة سوى باوكار الافاعي واكوار الحشرات ، اودية تدوي بهدير المياه
المابطة من ينابيعها لخطف المارين ، واوهاد فارغة الافواه لابتلاع السالكين
عَلَى شفاهاها وهضمهم في ظلمة وظلال الموت . . . قناطر مقطعة الاوصال
هابطة تحت ثقل الشيوخوخة ودوس اقدام الزمان . .

وفي احد مراحل هذه الطريق انفردت مساء الى جهة في تلك البرية
الساکتة وجلست عَلَى صخرة مضجعة في حوض الواحدة واخذت تأمل هذه
الفلاة الحزينة بينما كانت شمس الغروب تصبغ وجه الطبيعة بصفرة المذون
والافق يحيك عَلَى سراج الشفق ثوب الغلام . . . وحينئذ اسالت جمرة
الفراق جمود قريحتي فهرعت الى القلم ونقشت ابياتا من الشعر :
ومن محاسن شعره كانت الايات التي اشار اليها واولها

هداة السرى مهلا فهذي خيامها * وتلك روايبها وذاك غمامها
قفوا ساعة نشتم رائحة الحمى * هنا علقت روحي وطال هيامها
هنا لي من الغادات من لو تبسمت * لدى البرق ليلاً لازدهاء ابتسامها

ومنها

فهل ذكرت تلك المنبعة في الحبا * شريداً طماء البين وهو غلامها

وهل علمت اسماء وهي علمية * صباية نفس قد تسامى مرامها
نسيم الصبا هل قد عثرت بردنها * فبطرت ام لي معك آت سلامها

ثقلني الدنيا على موقد البلا * ولي همة في الصبر عز انصرامها
ويجري على الدهر حيش خطوبه * وما انا ذا نفس يهون اقتحامها
ومن عرف الدنيا رادرك سرها * تساوى لديه حربها وسلامها
على انه لم تطل اقامته في باريز اذ اصاب بها بشلل في اعصاب
بصره فعاد الى حلب ثم فقد النظر بتاتا ، وله في رثاء عينيه قصائد غاية
في النوح يكاد يتفجر لها الجهاد شجنًا ، وكان يستمعين باصحابه في كتابة
ما يؤلفه

وقد يتحير الناقد البصير ، فيما يجده من اغلاط اللفظ ، وركاكة
التعبير ، وضعف التركيب في المقدمة التي نقلنا شيئاً منها في هذه
الترجمة ، ويملكه الاستعجاب لدى تيقنه انها من قلم المترجم له ،
على بعد شهرته في عالم التأليف ، وسعة فضله ، فلا يتوقف عن البحث
الاتقادي ليعلم السبب ، على انه اذا راجع اعتراف المترجم به بقوله :
« لم اعثر في خزائني غير على - يريد الا على - كتب مطولات ومختصرات
في النحو والصرف وما يلحقهما » : ثبت لديه ان فاضلنا لم يكن قرأ يوماً
من كتب الفصحاء كأدب الكتاب ، والبيان والتبيين ، والكامل ،
والعقد الفريد ، ومقدمة ابن خلدون ، وغيرها ولا عجب في ذلك فان
المطبوع منها في اوربا ومصر كان بعد ذلك التاريخ ، وما طبع منها
كان قليلاً وفالي الثمن ، اما الخطية منها فكانت اندر من الكبريت

الاحمر ، ومن العلوم انه لا يتوصل الى صناعة الانشاء الا بالاكثر من قراءة كتب البلاء والفصحاء من الكتاب . ومما زاد في الطين لثة ، ان شاعرنا لم ينته من طلب العربية ، حتى عكف على درس الفرنسية والطليلية ، ثم اقبل على دراسة الطب . فاين الفصاحة ، وسلامة التركيب ، وحسن اختيار اللفظ وعلى الجملة اين براعة الانشاء من ذلك . على انه بعد عودته من باريز وعكفه على الكتابه ، تبدل اسلوبه فهجرت المبتذل وتدرت الاغلاط فيه ، كما يرى من مراجعة كتبه ، ولا سيما مشهد الاحوال فقد ضمنه من الموضوعات الطبيعية والفلسفية والاجتماعية والحكمة والفنل طائفة وافرة ، ونحا فيه نحو المقامات الحمزانية والحريرية واليازحية ، وان كان بينه وبينها في الفصاحة شأو بعيد الا ان اغراض مشهد الاحوال اغراض نصيرية ، وفيها من الفائدة والفكاهة قسط جليل ، وذهب في التخيلات فيه مذهبه في الشعر ، وهو فطري فيه واذا تبصرت فيما افه في هذه المدة الوجيزة ، اي منذ عودته من باريز الى وفاته ، وهي مدة لا تتجاوز ست سنوات سقط منها قسم كبير قضاه في المرض ايقنت ان هذا الرجل الكفيف اوتي من حدة الذهن وسرعة الخاطر ، وغزارة المادة ، وجودة القرينة والالمانية ، ما كان فيه نسبيج وحده ، فانه الف اكثر ديوانه الكبير المشهور بمرآة الحسناء . وفصيحة تبلغ نحو خمسمائة بيت عنوانها الميمونية ضمنها ذكر حادثة مشهورة ، ورواية كبيرة سماها درة الصدف في غرائب الصدف (يريد المصادفات) وكتابا اخر سماه غابة الحق . وعرب رواية كبيرة عن الطليانية لم تطبع فيما نعلم ، ومشهد الاحوال المذكور ، ومقالات في مجلة الجنان ، ومساجلات ومبادلات جدلية ، وكتابه شعراء عصره والعلماء

والفضلاء . من كثير من الاقطار ، الا انه كان قليل التثبت فيما يكتب فبدرت
من قلبه اغلاط في اللغة والفاظ عامية استدرج اليها كقوله

صدحت بلابلة الاراك صباحا * فهاجت البلبال والاتراحا
والبلبل يجمع عَلَى بلابل ، ولم يسمع بجمعه عَلَى بلابلة ، وقالوا هاج وهيج
ولم يرد لهم اهاج . وكقوله

والهوى بالاشواق يصدع قلبي * والنوى بالاتواق ينني عظامي
فالاتواق لم ترد في شعر قديم ولا حديث ، جمعاً لتوق ، وكأنه قامها
عَلَى اشواق ، ومعلوم ان اكثر الجموع رهن النقلة ، واكثرها يؤخذ بالسمع
والقياس هنا غير جائز ، هذا عدا ان التوق هو الشوق بعينه ، والتكرار هنا
غير مستلح ، والذي ساقه الى ذلك هو التهافت عَلَى الجنس ولعله من اول
شعره . ومن العامي الذي استدرج اليه كثيرون بعده قوله

احرممني مسرح طيفك هل * تحرمني فكري اذا مثلك
والمرسح لفظ عامي كما هو معلوم ، ولعله مقلوب مسرح من قولهم
سرحت طرفي في كذا مجازاً وهو من التسريح اي الارسال والمسرح هو
المرعى كما في كتب اللغة

اما وصف شاعريته فذلك غرض بعيد ، فقد كان الرجل شاعراً في
نثره ومرسله ، شاعراً في تخيله الى الغاية القصوى ، لا شاعر اوزان ، او نظام
الفاظ موزونة ككثير ممن عرفنا ، فان تخيلاتهِ كانت تزاحم الفاظه بل كانت
تعجز عنها . واليك شيئاً من حسنات شعره الكثيرة ، قال من قصيدة

فهل ليل يروح ولا اضطراب * وهل صبح يلوح ولا أنسجام
وصبح ليله احيا جفوني * بطيف كان يحيه الظلام

افقتُ مودعاً وسني وقلبي * به من ذلك الطيف اضرام
واحشائي تذوب وكل عضو * به جرح ولم يرهف حسام
هرعت الى المضاب ولا رفيق * يوانس وحدتي الا الغرام
هناك نوحشتي واد ائدس * تظلمه الروابي والاكام
تلوح عرائس الافكار فيه * سوافر لا قنّاع ولا لثام
ولا تخشي ذبولا من هجير * فمن شجر الاراك لها خيام
هنا دوح قد شراع ظل * وثيقاً ما لعروته انفصام
على جوارها وصفا اثيراً * به الاوهام تسبح لا الهوام
هنا النسر ين تحت طرنجبيل * يفوح كذا البنفسج والخزام
ومنها

وبينا كنت في سكري صريعاً * بهذا الوادي ولا خمر وجام
شريدأ ما لافكاري قرارٌ * اروم ولست ادري ما المرام
اذا بنت الصباح بدت وحيّت * على الدنيا وحيثها الانام
فغار النجم وامحت الثريا * واخفى وجهه البدر التمام
ولاح من الظلام الكون يزهو * كزهر عنه تبسم الكمام
وراح الظل يهبط في المهاوي * ويستعلي على القمم الغمام
عبيرٌ قلت فاح من الموافي * فما هذا بشامٌ او ثمام
اذا صنم الجمال بدا امامي * وقال عليك يا عبدي السلام
كلها على هذا النسق الانيق ، وله من قصيدة

عجيباً روض رضاكم ماحلٌ * رغم اجفان له اضحت غماما
عادرُكم علمني حفظ الوفا * مذ جعلتم يقظة الحب مناما

ومن اخرى :

ما عليكم قط مني عتب * بل على قلب بكم خضع وهاما
اني ملاكتكم قلبي فلم * تحرسوا الملك ولم ترعوا مقاما
ومنها :

كانت النفس لكم عاشقة * حين كنتم عروة تأبى انفصاما
فبن عوضتموني يا ترى * هل تخذتم عوض النور ظلاما
يا ربوعاً قدر عى غيري بها * لاسفك الله من بعدي الغماما
كنت للاساد غابات وهما * للكلاب اليوم اصبحت مقاما
ومن احسانه في مشهد الاحوال

ما للمليحة غضبي لا تكلمني * كأنها بي لم تسمع ولم ترني
ما بال اعينها في الارض مطرقة * وكلما اطرقت عيناى ترمقني
ونحن في مجلس قد قام من نخب

فمن عذول ومن واثن ومن خشن
ليت المليحة تدري اني كلف * بها الى غيرها ما ملت في زمني
وقال :

على صراط مستوي مستقيم * ساكنت والناس حيارى تهيم
يضج فوق الارض سكانها * شبه ذباب فوق شئ وخيم
كذا ترى الدنيا عيون الورى * كما ترى المقرب عين الفطيم
وقال يمدح صديق صباه الشاعر المشهور جبرائيل الدلال السابق الذكر
لا كنت صباً صبا للغد والحال * ان كنت اسمع عذل العاذل الخالي
يا من مددتم الى لوم الهب يداً * لا تعذلوا فانا راض بذى الحال

ومنها :

اعطافها ثلث من خمر مقلتها * فتهن سكرآ وملن ميل آسال
زادت محاسن حتى خلتها اقتبست * من حسن طلعة جبرائيل دلال
فرع الاصائل بل اصل الفضائل من
قد حاز كل مقام زاهر عال
صدر المجالس نبراس الدوامس مظ
هار النفائس ندب خير مفضل

وقال بحبيبه على قصيدته الدالية

نحاجر صب ساحفات سواهد * لمن الغواصي والدراري شواهد
وقلب رهين السير في سبل الولا * ولو حادت الجوزاء ما هو حائد

ومنها :

جناني احباني واهلي ومعشري * وما عا لي منهم سوى الضر عائد
وصرت غربا في ديار و معهدي * ولم يبق لي بين الانام معاهد

ومنها

فهل انت يا دلال الا اخ به * ظنوني على فرش اليقين رواقد
ومنها :

بملاك يا راعي الدمام نشائي * فملاك من تعتر فيه الشائد
فانت على برجيس اربيت مهيعا * وحط ادى عالي ذكك عطارد
لبست ثياب العز والعزم والحجى * فعدت فتى تخشى لقاء العوائد
وختامها :

وقد زاد كيل البعد بعد امتلائه * اليس اخا القصان ما هو زائد

وتعداد احسانه تضيق عنه هذه الترجمة وبهذا القدر من قلائده
كفاية

٨ الشيخ محمد نور الدين الترماني رحمته الله

ولد في ترمين سنة ١٢٠١ وتوفي بجلب سنة ١٢٥٠ في الثالث من
ذي الحجة ١٢٨٦ - ١٨٠٤

هو ابن عبد الكريم بن احمد بن نعمة الله الترماني وترمين احدي
قرى حلب الغربية واصل اسم القرية دير رمانين او رومانين حسبها صحح
ذلك صديقنا العالم المؤرخ المحقق الاستاذ عيسى المعلوف في ترجمة الشيخ
المترجم عليه كما افادنا باحدى رسائله الاخوانية وانهم يسمون بيت الشيخ
احد متقدمي العلماء في القرن التاسع عشر وطلبة انوار الادب في
ظلمات الجهل الاخير ، اتم علومه في الازهر بمصر ثم عاد الى حلب اذ كان
والده قطن بها قبل سفره ثم تقلد بها التدريس في الجامع الاموي وكانت
حلب حينئذ في اشد الحاجة اليه لتقلص انوار العلم عن ربوعها منذ عهد
طويل ثم سمي بمفتي الشامية فيها

وله شرح على عقود الجمان في المعاني والبيان ، وشرح على المنهج ،
وشرح على متن الاجرومية ، وكثير غير ذلك من الشروح والخواشي
وله شعر لم يصل الينا منه الا القليل ، فمن ذلك تخميس قصيدة

للشيخ عبد الغني النابلسي قال

ما هذه الدار للاخيار من دار * ان كنت تدري فماذا الهم ياداري
فاصبر اذا دارت الايام او دار * من عادة الدهر صفو بعد اكدار

فلا تكن فيه في هم وافكار

اياك تغتر بالاوقات تصرفها * الى المعاصي او الاغيار تعرفها
واغرس ثمار التقى والزهد تقطفها * واترك غرورك بالدنيا فزخرها
غراً الفراش فارمى النفس بالنار

من رام تصفو له ايامه غلطا * لا بد لليسر من عسر وان سخطا
فكن اذا جاءت الايام منبسطة * واصبر اذا ضقت ذرعاً والزمان سطا
لا يحصل اليسر الا بعد اعسار

وله مقامة في وصف الزلزلة بحلب المشهورة بزلزلة سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) في الساعة الثالثة بعد الغروب قال ... وما ذاك الادوي كدوي
الصواعق لتدكدك من هوله الشوامخ والشواحق ... ونفضتنا الارض
عن ظهرها حتى قربنا من السماء ، وكدنا تغترف من السحاب الماء ، ثم
هبطنا الى الحضيض الاسفل وعدنا لما وصلنا اليه خمس مرات متواليات ،
حتى ظننا ان الارض اختلطت بالسموات ، ... فبينما نحن في هذا
الحال اذ نزلت علينا شهب من السماء لتلامع وراها غالب من ذات
العواصم لتابع ... فبعد خمس من الدقائق نظرنا الى انفسنا كأننا خرجنا
من القبور وعلينا التراب مغط للثياب والشعور ، ثم التفتنا الى القصور
والربوع فرأيناها قاعاً صفصفاً كهيشة الجبال يوم النشور ، فافتقدنا الاقارب
والاباعد فاذا من فقد منهم عشرة الاف ...

٩ ﴿ اخوه الشيخ احمد الترماني الشهير ﴾

ولد بجلب سنة ١٢٠٤ وتوفي بها سنة ١٢٩٣ في ربيع الثاني

١٨٧٦ - ١٧٩٠

شيخ العلماء ، واستاذ الفضلاء ، وواحد الصالحاء ، وقدوة الحكماء كان امة في الكمالات الانسانية ، وعنوان الزهد والفضائل والامية ، فاذا ذهب في الاسواق لقضاء حاجاته ، تسابق الناس الى اثم راحاته ، وهو يدفعهم عنه بالتمال واليمين و يستغفر الله عن المؤمنين ، كأنه اذنب اليهم اجمعين .
ولم يكن له ولد ذكر فكان يحمل على كتفه لقن العجين الى الفرن وكان قد جاوز الثمانين فيتزاحم من يراه من الناس لحمله عنه فينتهرهم قائلاً ألهيكم عن اعمالكم اذهبوا عني الى مصالحكم ، وكان لفرط سذاجته يحمل ما له في قلوب الناس من الحرمة والتوقير ، ويطول الكلام عن صلاحه ونقشه ومكارم اخلاقه وما ذكرناه غيض من فيض

وظل يدرس في الجامع الامري بجلب دهرًا طويلا ، وكانت لوفاته رنة حزن. في قلوب سكان حلب على اختلاف الاديان ، كأن كل من عرفه اصيب باعز الاخوان

اما مؤلفاته فكثيرة جداً نذكر منها شرح الشريعة في المنطق ، وشرح على منظومة الخانية في المنطق ايضاً ، وهداية الانام في توريث ذوي الارحام وكتاب الجامع في الكيمياء ، وشرح الشافية ، وحاشية على شرح الفاكيهي وشرح تائية السبكي في المغازي ، وشرح منظومة الصبان في العروض ، وحاشية على شذور الذهب ، وتلخيص العبارات الرائقة على البيضاوي ، وحاشية على

الجلالين ، ورسالة في العلم الروحاني ، وشرح على ورد السحر الخ

١٠ الشيخ عبد السلام الترماني رحمته الله

ولد بحلب سنة ١٢٣٨ وتوفي بها في الثامن من ربيع الاول سنة ١٣٠٥

١٨٨٧ — ١٨٢٢

هو ابن الشيخ نور الدين السابق الذكر . امام من ائمة ذلك البيت الكريم وفرع تلك البوحة التي يشار اليها بالتمظيم ، اخذ العلم عن ابيه وعمه والله ذلك الوالد والعم . وطلم في فلك الشهباء بدرأ ومن يشابهه فها ظلم ، كان آية في بحاسن الطباع وعلى غاية بعيدة من اللطف والاتضاع ، حدثنا الصديق الفاضل الامتاذ ميخائيل الصفا قال زرتة وانا يومئذ فتى استفيد في معنى نظمته وكان احد الادباء انكر علي صوابه ، فاقبل علي الشيخ رحمه الله بوجه طلق واكرمني اكراماً يفوق قدر سني وسألني ان كنت احب التدخين فتمنعت فلم يزدني قمعي الا اصراراً علي به ، فقلت يا شيخني اني لا ادخن التبغ ولو كنت ادخن لما فعلت ذلك بحضرتك ، قال اذن انت تشرب النرجيلة قلت نعم ولكن لا اسمع لنفسي بذلك في هذه الحاضرة ، فغاب عني بضم دقائق حسبته ينهي بعض عمل كان بيده ثم عاد وبيده نرجيلة معمورة فنهضت اجلالا له فوضعها بنفسه بين يدي . فكادت اختنق بخجلا ولمح مني ذلك فقال سر عنك خجلك فان اكرامك فرض علي اذ زرتني ولا سيما وانت من طلاب العلم والادب ، وانت معدود من عصابتنا عصابة خدام العلم

وما زال يؤنسني ويكرمني حتى خلت اني بفضل العلم ، ملكت من اكرامه
ذلك اليوم ارفع المناصب .

نقله التدريس في الجامع الاموي بجلب وكان ربعة القوام الى
القصر نحيف البدن ، صغير الوجه ، اسود العينين ، صغير الانف والفم ،
خفيف اللحم عرقناه وقد عمه الشيب وقوراً ذا طلعة بهية يعصر منها ماء
الانس والوداعة

اما مؤلفاته فمنها : رفع الخلاف والشقاق في احكام الطلاق ، وبهجة
الجلال في مذاكرة الانفس ، ورسالة فكاهة الغريب ، وتذكرة الوعاظ بجميل
المعاني والانفاظ في علم الحديث ، ورسالة الغالب والمغلوب ، ورسالة في احكام
الحلم وحواش على مختصر السعد في المعاني والبيان ، وحواش على البخاري
وغیره ، ومجموعة ادبية وله شعر فيه كثير من الحسن فمن ذلك قوله :

اسعد الله بالصباح مليحاً * نفتديه بروحها الاقمارُ
ومنها :

سل سبلاً من الرحيق بفيه * فيه يجلو وحفه الاسكارُ
علّ يصحو من الدهول محبٌ * حاربه بقوسها الاقمار
وقوله :

كن محسنامها استطعت فان من * فعل الاذى لا بد ان يتضررا
فالباذ قصر عمره لما بغي * والفسر من ترك الاذى قد عمّرا
وقوله وهو معنى مليح

كن مستقيماً في الامور جميعها * فاذا استقيمت لك المقدم في الملا
أفلا ترى الف الهجاء تقدمت * لما استقامت فهي تكتب اولاً

ومن احسانه

تملكني لحظ الحبيب وحاجبه * فادخلني ظلما بهذا النظم حاجبه
تعتقته عمدا وخالفت مذهبي * وآليت اني لا ازال اصاحبه
لعمرك ما حب الحسان محرم * اذا سار في نهج الشريعة صاحبه
وله قد على اغنية « قميص النوم شكوكني ونهودي بينت منه » قال :
كيف الهوى رماني وانا احذر منه
وان كتمه قلبي وشي عليّ أنه

دور

فما انا يا صاح - من الهوى بصاح -
وكم نمت نصاحي - وما انتهيت عنه

دور

كانه شمول - او جوهر يحول -
ولم ازل اقول - كانه كانه

اما قوله والنسر من ترك الاذى قد عمرا . لعله يريد احد الكوكبين
المعروفين « بالنسر الطائر والنسر الواقع » اذ النسر هو من جوارح الطير ويقع
على الغنم فيحتمل النعجة بين مخالبه ويسطو على الارنب والثيتل وهو ضرب
من بقر الوحش الا ان المشهور عنه انه جبان شره يألف الاشلاء والجيف

وقد كانت النية معقودة على متابعة نشر التراجم منسوقة حسب سني
مواليد اصحابها الا انه قد اعترضنا من العقبات ما لم يكن في الحسابات
ذلك ان اثار كثير من اصحاب التراجم ، لم تصنفها فروض البنوة ولا حرصت

عليها ذم الاخوة ، ولا رعت لها حرمة رحم الاقرباء . ولا اقامت لها وزناً
اطماع الورثاء ، فلعبت بها ايدي الحدثان ، واثاذهتها رياح النسيان . ووطنتها
اقدام الخذلان فلا حول ولا . . .

اين هذا من عناية الامم الفرنجية بكتابات ابائهم وذويهم وحرصهم على
اثارهم حتى التافؤ منها ، يضمن به المرء منهم ضمانة البخيل بالكنز الجليل
الجزيل ، ويوصي الوالد بالحرص عليه اولاده ، بل يستعبد منهم ان يعاهدوا
على ذلك احفاده . ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد خطرت بالبال حكاية
لا بأس من ايرادها واعل بها فكاهة وعبرة .

وجملتها انني كنت منذ ست وثلاثين سنة ونيف ، تلقيت كتاباً من
عمي في مدينة مرسيليا . يخبرني ان واحداً من احفاد عمهما ، واسمه ادریان
عزم على زيارة حلب . - وجده وجدي شقيقان - . فلما قدمها كان ضيفي
في مدة اقامته فيها ، وعلمت منه انه لم يترك العرب ويعمل مشاق هذا
السفر الطويل الا لزيارة الارض التي ولد فيها ابوه على حد قول الشاعر
بلاد بها نبطت عليّ قماشي * واول ارض مس جلدي ترابها

اذ كان جده هاجر حلب سنة ١٨١٨ واصطحب ابنه انطوان وهو
والد ادریان طفلاً فلم يكن يعرف من حلب الا ما كان يقصه عليه والده
ولكنه كان يحن الى رويتها فلم يقسم له ذلك ، وكان ابنه ادریان هذا
لا يفهم حرفاً من اللغة العربية ، فلما استراح من وعشاء السفر قال كم لاسرئنا
في هذه الدار ، قلت انها دار جدي ، قال هل ولد فيها ابي ، قلت ذلك ما
لا اعلمه ، وانما عندنا شيخ عترتنا وهو ابن عم ابي بطرس المشهور نسأله
اعلمه يعلم ذلك ، فلما سأله قال : ان وجوه النمرانية كانوا يسكنون يومئذ

محلة الشرسوس ، وكان عمي ميخائيل (هو جد ادریان) يملك دار سكنه
ثم لما توطن مرسلينا كتب الى اخويه في حلب يوقفها على البر وانا اعرفها
قال ادریان هل يتفضل ابن العم بدلاتنا عليها لزيارتها فاجابه الى ذلك
ولما دخلناها وثققد حجراتها قال سل ابن العم هل يعلم في اي حجرة ولد ابي
فلما عربت سؤاله ضحك ابن العم ثم قال :

لم اكن ولدت يومئذ ، ولكن العادة كانت عندنا ان تلد المرأة في اوسع
جمرات الدار واعزها ، ولا ريب في ان والدك قد ولد في هذا البيت الكبير
واشار بيده الى ارحب جمرات الدار ، واذا عربت له المقال ، بقت اسارير
وجهه ودخل الحجرة المشار اليها ، ثم كشف القلنسوة عن رأسه ورآه
وصلب وصلى وتخشم ، ثم نهض فاطال النفرس في اطراف الحجرة وسقفها
وجدرانها وعتبتها كأنه يريد ان يطعم صورتها بجميع دقائقها على لوح ذهبه
ولما خرجنا وترسطنا صحن الدار قال اطيب اليك ان نقول لابن العم الان
ظابت نفسي وقد قلدي منة ان انساها ما حبيت ، فاني وعدت امي ان
ابذل كل ما في طاقتي لبلوغ هذه الامنية ، وقد نلتها دون مزيد تعب ،
وبعد ان مكث اياماً في حلب ، سألنا عن طريق حمص فقلنا له ان
في السفر الى هذه المدينة من المشقة والاختار ، ما لا تذكر بجانبه مشاق
طريق الاسكندرونة ومخاطره ، فقال أو آتي الشرق واعدد مه دون ان
ارى المدينة التي ننسب اليها ؟ لا بد من زيارتها ، ولم يكن يومئذ عربات
في حلب ، وكانت الاسفار كلها على ظهور الدواب ، فاكثرنا له فرساً وانتظرنا
سفر قافلة ، وزودناه بكتب الى بعض اصحابنا هناك فوصل حمص واقام بها
خمسة ايام ، ثم رحل عنها الى اللاذقية ومنها عاد الى مرسلينا ، سروراً من

زيارته هاتين المدينتين ، كأنه فاز بغنيمتين او نال ثواب جنتين .
نقول والحديث ذو شجون ، لقد سنحت للخطر احدىثة من هذا الباب
لا تطيل بها على القارئ . كان في حب قنصل من الانكليز له هو
بالخزف الصيني ، وكانت بيننا مودة . فزرناه يوماً وكان عائداً من لندن
ولما اخذنا باطراف الحديث ، نهض وارانا صحفاً (شاكسة) من ادنى انواع
الصيني قيمة ، ثم قال ما ترى فيه ، قلت هو من النوع المسمى عندنا بالبقدونسي
وهو اقل الصيني قيمة ، قال امكنه من اقدمه قلت نعم ، قال بكم ليرة تقدر
ثمان هذا الصحن ، قلت بثلاث او اربع ليرات ، قال اود ان افص عليك
حديثاً لا يخلو من الغرابة واعمل به فائدة فهل انت متسمع ، قلت اني لحديثك
منصت ، قال اذ كنت على ظهر السفينة ، ادركني شيء من العطش فناديت
الخادم ان ياتيني بماء في هذا الصحن ، ودلته على مكانه في غرفتي ، وبينما
كان عائداً بالماء رآه رجل انكليزي كان على ظهر السفينة ايضاً ، فسأله لمن
الصحن فدلّه عليّ ، فقال له سله هل يبيعه ، فلما اتاني الخادم بالماء وكنت
شاهدت ان الرجل يكلمه قال طلب مني هذا السيد ان كنتم ترغبون في
بيع هذا الصحن قلت سله بكم يشتريه واردت بذلك ان اعرف تقويمه
فعاد الي وقال انه يشتريه بعشرين ليرة فقلت لا ابيعه فذهب ثم عاد
وقال هو يشتريه بثلاثين ليرة فقلت ألم اقل لك اني لا ابيعه فذهب ثم
عاد ايضاً وقال انه يرغب في شرائه بخمسين ليرة فقلت قل له انه ليس
للبيع ولما انتهى من حديثه قلت له وهل تظن انه يساوي هذا الثمن قال
كلا اني اعلم انه لا يساوي ربع هذه القيمة واعمل الرجل احب . اقتناءه فبذل
ما بذل فيه من الثمن وقد يكون من الاغنياء فلا يرى مثل هذا القدر

من المال شيئاً كثيراً غير اني لا استطيع بيعه باي ثمن كان لانه مما اصابني من تزكة والدتي وكان هذا عزيزاً لديها .

هذي هي التربية الافرنجية وهذه اداب الاكابر منهم والاخبار وبيها عبرة لذوي الابصار .

عَلَى انا ابت علينا العصبية - ولا ننكرها - ان يمر هذا الرهط الجليل رهط ادباء حلب في القرن التاسع عشر امام معاصرنا من قرآء العربية ومن يأتي بعدهم دون ان يكون لغير واحد ممن سمعنا بعدهم بين اهل الفضل اثر مذكور وامم خالد مشهور .

يبد انا لما عرضت لنا في هذا السيل عقبات تقدم بسط بعضها رأينا ان نتصرف الان الى تقديم ذكر الاموات الذين تحضر الذهن تراجمهم دون مراعاة التنسيق في سني ميلادهم عَلَى رجاء الفوز بالمواد التي تعوزنا اصوغ تراجم الأدباء الذين نحفظ اسماءهم فان لم تسعف الايام بتحقيق هذه الامنية وانتهى ما اعددناه اتينا عَلَى تراجم الاحياء فسبح الله في أجلهم ومتعنا طويلا بعلمهم وعملهم .

١١ ❖ اكمال عطاء الله المدرّس ❖

ولد بحلب سنة ١٢٥٦ هجرية وتوفي بها يوم الثلاثاء في ١٥ صفر سنة

١٣٣٢ . مسيحية ١٨٤٠ - ١٩١٣

هو عطاء الله بن عبد الرحمن بن حسن المدرّس ، تقلد ابوه وجده

منصب الافتاء بحلب

عَلَمٌ وجاهةٌ وذُبلٌ، وطود حزم وفضلٌ، قرض الشعر فاجاد، واشتغل بالعلم فاستفاد وأفاد، وهو من بيت نسبته الى التدريس غير جديد، وله من المجد طارف وتليد، وكان طروباً ترفحه الالحان، كما رفحت الشارب بنت الحان، وكانت بيننا وبينه مودة اوثقها الادب، عَلَى تباين في السن وتدان في حب الادب وهو بهض النسب

كان حسن القامة، ممتلئ الجسم، جميل الوجه مستديره، بهي الطلعة دروي اللون، ازرق العينين، صغير الانف تلوح على محياه لوائح الوقار والذكاء حين المحاضرة لطيف المعاصرة، كأنه جبل من معدن الرقة، على جلالة قدر. ونباهة ذكر. اخذ العلم عن الشيخ محمد النرمانيني وابن اخيه الشيخ عبد السلام المتقدي الذكر

نقلب في المناصب بحلب فتقلد مديرية المعارف ثم رئاسة مجلس الدعاوى، ثم رئاسة مجلس التمييز، ثم عضوية مجلس الادارة ثم رئاسة لجنة الاوقاف، ثم رئاسة مجلس المعارف، ثم عضوية محكمة الاستئناف

وكان متمكناً من العلوم الفقهية، عارفاً باللغة التركية يؤلف بها، وقد ترجم اليها كتاب الخراج على طلب من نظارة الاوقاف بالقسطنطينية وعلق عليه حواشي كثيرة فتحها عليه تبحره في العلوم الفقهية، وطبع في القسطنطينية بامر نظارة الاوقاف

وقد ذهب ديوان شعره ومكتبته وغير ذلك من مؤلفاته في حريق حدث في منزله، فلم يصل اليها الا ما نشبته على علانته رواية عمن رواه لنا، قال رحمه الله

كن لينا في الناس واحذر ان ترى * فظ الطبيعة انه لم يحسن
انما ترى الاحمال وهي حجارة * لانت فصار مقرها في الاعين
وقال :

ان الولاية لا تدوم لواحد * ان كنت تنكرها فابن الاول
فاغرس يصنع الخير غرساً * فاذا عزت بانها لا تعزل
وقال مشطراً

خلقت الجمال لنا فتنه * وقلت عبادي الا فاقوت
وانت جميل تحب الجمال * وخلقك طراً به مغرمون
فان انت احببت خير الوري * فكيف عبادك لا يعشقون
وقال في طريق الحج من قصيدة :

يا حادي العيس مهلا وامش متدراً * وعلى القلب يا حادي بدكراها
حل التذكر بقي فيه من رمق * فمهجتي تلفت والحب ابلاها
وكدت ابأس لو لم اعتصم بعري * خير البرية اولاهها واصفاها
وبعث الينا رحمه الله بهذه الايات

ابن نحر الألى سلفوا علينا * باداب واشعار حسن
فقسطاكى ججتا عليهم * لعمري ما له فيهم مدان
فتى في آل وصف قد نسامى * فليس له على التحقيق ثان
ومهما قلت فيه من مديح * فبالقصير معترف لساني
فاجنباه عليها بابيات لم نعث على صورتها بين اوراقنا لتقدم الهد وانما
بقي في الذكر مطالعها وبيت التخلص اما المطالع فهو :

اتدري ليت شعري ما اعاني * بنار غرامها ذات المعاني
فمن آل المدرس لي فريد * به قد بت ابتكر المعاني

١٢ الست مريانا المراسل

هي بنت فتح الله وشقيقة عبد الله وفرانسيس المتقدمي الذكر ، ولدت
بجلب سنة ١٨٤٠ وتوفيت بها سنة ١٩١٩

سليمة بيث العلم ، وشعلة الذكاء . والفهم ، فصيحة الخطاب ، المعية الجواب
تسبي الباب ذوي النهي بالظافها . ويكاد يعصر الظرف من اعطافها ، تحن
الى الالخان والطرب ، حنينها الى الفضل والادب ، وكانت رخيصة الصوت
علمية بالانعام ، تضرب على القانون فتنتطقه انطاقها الاقلام

دخلت مدرسة راهبات مار يوسف بجلب ودرست الفرنسية حتى
صارت تكتب وتكلم بها جيداً ثم درست مبادئ النحو والصرف على
اخيها فرنسيس المشهور

وكانت مليحة القدر ، رفيقة الشمائل . عذبة المنطق ، فكهة الاخلاق
طيبة العشرة ، تميل الى المزاح ، حسنة الجملة ، عصبية المزاج وقد تمكن منها
الداء العصبي في اخر سني حياتها حتى كانت تمني الموت في كل ساعة

ارادها كثيرون على الزواج في اول صباها فابت لانها كانت تنوي
ان تظل عزبة ثم اقنعها ذووها اذ ظلت بعد وفاة امها وحيدة بلزوم زواجها
فعمد لها على المرحوم حبيب الغضبان من بيت كريم وكان منزلها مشابهة
الفضلاء ، وملتقى الظرفاء والنبهاء ، وكان لنا عندها منزلة ترتد عنها اعين
الحساد كائلة ، لما كان بيننا وبين شقيقة عبد الله من المودة الجزيلة الطويلة

فسقياً لا يام الشباب ، ومجالس الاداب والاحباب ، ومساجلاتنا بالمحفوظ والبيديه
من الاشعار ، ورقصنا على العود والمزمار ، وصوت بلبل ذاك العصر المدعو
بالحجار (١)

اما شعرها فلم يجمع منه الا القليل في كراسة عنوانها بنت فكر وها
نحن نذكر منه بعض ما استحسن

قالت تهنئ جميل باشا بولاية حلب سنة ١٨٨١

افديه لا افدي سواء جميلا * اولى الهب تعطفاً وجميلا
بدر عنت دول الجمال لحسنه * فاني لذا تمثاله التمثيلا
فاذا تحلى فوق عرش كاله * تجئو له زهر النجوم مثولا
واذا توارى في حجاب سنائه * لا تبلغ الجوزا اليه وصولا
وقالت وقد اقترح عليها في تهنئة

من كل غانية زهت بجمالها * ودلالها كالروضة الغناء
ماست كغصن فوقه بدر له * مرأى الثريا في بديع بهاء
بحواجب مقرونة قد اوترت * قوساً ترن بها سهام فندائي
ان كلمت صباً بنبل لحاظها * كان الشفاء له بعذب الماء
حتى ترد اليه ذاهب روحه * فيعود معدوداً من الاحياء
وقالت :

من كان من اهل الفضائل والنهي * وغدا اسير شمائل وعيون
يهوى الجفاء من الحبيب فان جفا * يزدد به كلفاً وفرط شجون
يشكو له ويظل يشكر فعله * ان التعفف شيمة المفتون

وشطرت الايات المشهورة الآتية

للاماشقين باحكام الغرام رضا * يمسون صرعى به لم بأنفوا المرضا
لا يسمعون اعدل العاذلين لهم * فلا تكن يا فتى للجهل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * ذاك الزمام وقد ظنوا الهوى عرضا
جاروا وما عدلوا في الحب اذ تركوا * عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا * وكان يزعم ان الموت قد فرضا
اصابه سهم لحظ لم يبال به * فمات في حبيهم لم يبلغ الغرضا
رأى فخب فرام الوصل فامتنعوا * فما ابتغى بدلا منهم ولا عوضا
نقطع القلب منه بانتظار عسى * فسام صبرا فاعى نيله فقضى
وقالت تطالب احد الرؤساء بانجاز وعد

ياذا الوفا والدين انت وليه * وعلاء فضلك دونه الجوزاء
هل تذكر القول الذي سمعت به اا * نفس النفيسة واليد البيضاء
فالوعد عند الحر دين ثابت * وبوعد مثلك يحسن الايفاء
انجز به واقبل ثنائي ودم على * طول المدى تخضع لك البغاء
وبهذا القدر كفاية

١٣ الشيخ ابراهيم الحوراني

ولد بجلب في ١٤ ايلول سنة ١٨٤٤ وتوفي في ٢ شباط سنة ١٩١٦

في بيروت

هو ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن يعقوب بن سليمان بن فرح الفتاني

الحوراني

نبراس العلوم بل شهابها الساطع . وعنوان الادب بل بحره الزاخر
الجامع . ورث العلم كابراً عن كابر ، فهو عالم شاعر وحفيد عالم شاعر ،
واطالما ارقص اعواد المنابر على الحان منظومه ومنشوره ، وانطق السنة
الاقلام بفصيح مبتكره ومأثوره ، وكشف عن مطوي المعاني فضوع
الاقطار باطايب منشوره

وهو وان كان حابي المولد ، فانه حمصي المحدث ، عاد به ابوه بعد ميلاده
بسنة الى وطنه حمص ، ف قضى بها فتوته * ثم رحل عنها مع ابيه الى دمشق
سنة ١٨٦٠ وهو في السادسة عشر من العمر ، فظل بها الى سنة ١٨٧٠
اذ استقدمه رؤساء المدرسة الكلية الاميريكية يكن في بيروت ، ليدرس
فيها علوم البلاغة والر ياضيات والمنطق ، فالتقى فيها عصا الترحال ، الى ان
دعاه داعي الزوال

كان يسمي نفسه حلياً لمولده بحلب ويقول مولدي في دار كذا
(ويعينها) بمحارة (بحارة) انزال من محلة الصليبية ، كما روى لي ذلك غير
واحد من فضلاء واعيان حلب عن المترجم نفسه ، فلا بدع بعد هذا اذا ما
ضمنناه الينا ضم المستهام . وترجمناه في رأس شعرائنا وعلماؤنا الاعلام ،
وحرصنا على ذكره حرص البخيل على انفس كثر وجعلنا اسمه في عنق هذه
الرسالة اكرم ذخيرة واجل حرز

ونحن نلخص ترجمته هذه عن ترجمة مطولة نشرت في المجلد الثامن
من مجلة المقتبس الغراء بقلم صديقنا العالم المؤرخ الاستاذ عيسى امكندر
المعلوف احد اعضاء المجمع العلمي بدمشق

كان طويل القامة ، ممتلئ الجبهة ، حنطي اللون ، روماني الانف ،

اجش الصوت، وخطه الشيب قليلاً في آخر حياته، وكان حاد الطبع سريع الرضى، كثير الجلد لا يمل البحث والمراجعة، سريع الخاطر واسع الحفظ، دقيق البحث في الوضع واللغة والترتيب واسع الاطلاع، يسير بالقارئ بين حزون المباحث وسوؤها، عرب وصحح وأب ٢٥ كتاباً ونيف، فهو بلا ريب من اركان نهضتنا المصرية، واعيان ناشرى ادينا العربية

درس في صباه مبادئ الصرف والنحو والحساب في حمص ونظم المواليا والزجل في الحادية عشر ومن ذلك قوله وكان يتغنى به في حلب (سعاوي)

يا ساكن البان صبري من بعاذك بان

يبكي دماً كلما غنى حمام البان

سرّك كتمته ولكن من دموعي بان

والدمع فضاح ارباب الهوى في الصبا

يا روح عطفاً على العاني اسير الصبا

مولاي شكواي الطف من نسيم الصبا

وان كان بهتز عطفك يا غصين البان

وفي السابعة عشر من عمره دخل المدرسة الاميريكية في عيبه من

لبنان وذلك في ١٨٦١ فظل بها الى السنة ١٨٦٤ ولما فارق المدرسة المذكورة

عكف على الدراسة والمطاعة فتلقى الرياضيات والفلك والمنطق على العالم

المشهور الاستاذ ميخائيل مشاقفة الدمشقي والطبيعات والكيمياء على الاستاذ

النظامي يرسف دمر، ومبادئ الانكليزية على معلمة انكليزية، على انه استفاد

من اكبابه على المطالعة اضعاف ما استفاده من اساتذته كما هو معلوم عند العلماء ، وقد انشأ مقالة بهذا المعنى عنوانها انا معلمي ، ولا بدع فلاستاذ يلقي المبادئ كما يلقي الزارع الحب على الارض فان لم يتعهد التليذ ما ألقى في سمعه بامطار الدراسة والمراجعة ونسيم الذكر والتنقيب والمطالعة ، كان تعلمه كالجنة ألقيت على ارض جرداء ، او صخرة صماء ، فتقاذتها رياح الذبان واستأكلتها نمل الهوان

ثم قدم بيروت كما سبق الكلام وصار يدرس في المدرسة الكلية الاميركية وفي مدرسة البنات وفي المدرسة البطريركية ، وله اليوم من تلاميذه ابناء العرب المنتشرين في اطراف الارض طائفة كبيرة فيها الاطباء والعلماء والادباء المعاصرين ، واتصل بالعلامة الاستاذ كرنيليوس فاندريك الطيب الذكر ورصد معه الكواكب ثم اتخذ منظاراً وبات يرصد به في بيته

ثم تولى انشاء النشرة الاسبوعية وهي المجلة التي يصدرها المرسلون الاميريكيون الافاضل في بيروت منذ سنة ١٨٨٠ فجعلها روضة دانية القطف بثمار علمه واثار قلمه ، فانه كان عالماً بالجبر والهندسة والمنطق والجغرافية السماوية والانساب والكيمياء والنبات والحیوان وسائر الاداب العربية ، وكان خطيباً بليغاً فكها وافر الاطلاع شديد البحث ، له طائفة من الاوضاع العامية والتراكيب الفصيحة العصرية وشي كثير من المعرب ، وكان كاتباً فصيحاً عصرياً يختار التعبير الواضح باللفظ البليغ والتراكيب الفصيحة والعبارة الموجزة ، ولا سيما في العمليات فلا يثقل ذهن المتعلم باحمال من الكلام تبهظه فيجبن عن التقدم في مسالك الطلاب ، ولا يسير به في طرق طويلة مستوعرة من التعبيرات فيفضل طريق الفهم ، وهذا ما لم يوفق

اليه كثير من علمائنا فاطالوا في المتون العلمية ، ثم طولوا في الشروح والخواشي والمهمل والغريب والنادر وغيره ، حتى تشعبت على الطالب وجوه القصد ، وتحير في كثرة مذاهب الطلب ، واستبعد الوصول الى الغاية . فتولاه اليأس من بلوغ المرام ، فانصرف عن ديس مبادئ لغته ، وهذا ما دعا اكثر فتيان المدارس عندنا الى طلب اللغات الاجنبية ولا سيما الفرنسية ، حتى عجز اكثرهم عونا كتابة سطرين سالمين من الغلط بهذه اللغة الشريفة بل ما اكثر من درس للغة سنوات وهو يعجز عن تجنب الخطأ في كتابته ، وقد كدنا نخرج عن الموضوع

والف وعرب كثيراً من الكتب المفيدة وكتب في كثير من الجرائد والمجلات . فمن اقدم ذلك النجاح ولسان الحال والمهروسة ومن المجلات الجنان والمشكاة والمقتطف والصفاء والطبيب والنشرة الاسبوعية والمباحث . اما مؤلفاته فمنها الشهب الثواقب في الجدل ، وجلال الدياجي في الالغاز والمعميات والاحاجي ، ومناهج الحكماء في مذهب النشوء والارتقاء والحق اليقين في الرد على داروين ، والايات البيئات في عجائب الارض والسموات ، وضوء المشرق في علم المنطق ، والاعراب في نهج الاعراب ، وشمس البرهان في علم الميزان ، والكوكب المنير في علم التفسير ، وديوان شعر كبير ، واسفار ذات السوار (رواية)

ومن المعربات المواعظ الميلادية ، ومواعظ مودي ، وتفسير التوراة ، وسكان وادي النيل ، ورجال التاغراف ، وسيرة القديس اغوستينوس ، والطريق السلطانية .

وكان ينزع الى المجون والاحماض في حديثه ، وكان سريع الخاطر مبدعاً

اما شعره فاكثره كسعر العلماء واليك شيئاً منه .

قال في صغره في بدوية

بدويةٌ لاموا العميد مجها * فاجبتهم والدمع احمر قاني

ما شات فيها انها بدوية * ترمي السهام بمهجة الحوراني

وقال في صباه من قصيدة

من كل غرثي وشاح ما دنت ورنث * الا رمت بسهام الطرف مضناها

تظل نيران ابراهيم موقدة * منها كلهم الحشى في طور سيناهما

هيفاً ترفل عيف برد السنا وانا * اختال في مثل ما يشكوه جفناها

بالوصل . ابخل غادات الوري خلقت * وعند سفك دم العشاء اسخاها

قال في الكهرباء

كأني في الهوى العذري عصف * وابلى في الهاسن كهرباء

دنت مني ومستني لهذا * علفت بها كما حكم القضاء

وقال في الكأس

في هذه الكأس الهلاك فلا تذق * حلاب العصير صديد اهل جهنم

عكست لظي لألأها من نارها * وحبائها نفت الحباب الارقم

وقال

هذب كلامك في نظا * بك قبل نقد العالم

فالشعر كالمرآة يُر * سم فيه عقل الناظم

ومن محاسن شعره قوله في صدر قصيدة

حمل النسيم لنا عبير شذاكا * ظلي الخيام فرحت من امراكا

ومنها

مغني، توهمتُ السماء رحابه * لما رأيت أهيله املاكا
وظننت سكان المضارب انجما * لما رأيت خيامه افلاكا
وبهذا القدر كفاية للدلالة على مقدار فضله

١٤ ❖ قاضي القضاة الشيخ بشير الغزوي ❖

ولد بحلب سنة ١٢٧٤ هجرية وتوفي بها سنة ١٣٣٩

١٨٥٧ - ١٩٢١ مسيحية

هو الشيخ محمد بشير الغزي ابن الشيخ هلال الالاجاتي ، اخذ لقب
اخيه لأمه الشيخ كامل الغزي لانه رماه صغيراً
طود حلم ووقار وقطب اهل العلم في هذه الافطار كان متبحراً في
طحي اللغة والادب ، يحفظ ويروي من نوادرهما مايورث العجب ، وكان
اماماً في علوم الفقه والحديث والمنطق اخذ العلم في حديثه عن اخيه
صديقنا العالم الشاعر الشيخ كامل الآتي الذكر وكان يأخذه العجب من
سرعة فهمه وشدة ذكائه وكان منذ حديثه آية في الحفظ حدثني اخوه
الصديق المشار اليه قال كنت اتقي عليه الدرس من مطويات الدروس
فاغيب عنه ساعة ثم اعود فيؤدّيه لي عن ظهر قلبه كأنما هو يتلو في لوح
مسطور ، وقد حفظ الفية ابن مالك في نحو خمسة عشر يوماً ومثلها
امالي القوالي ومثلها الكامل للمبرد وغير ذلك من كتب العلم واللغة
والادب

وكان بيننا وبينه صداقة أكيدة ومعاشرة طويلة العهد وطيدة ،
 نفخرنا منه فاضلاً زهيد العين ، عزوفاً عن الدنيا ، حصين الضمير ،
 غضيب الطرف ، صادق العهد ، مهذب اللسان ، وكان من المفرمين
 بإنشاء حجة العصر الشيخ ابراهيم اليازجي ومن المعجبين بفرط تحرره في
 فنون اللغة وادابها ، وكان يقول لنا هذا صاحب هذا القرن السعيد
 ومجدد عهد ابن العميد ولا عجب فالفضل يدركه ذوهه

كان طويل القامة ممتلئ البدن مستدير الوجه ، حنطي اللون خفيف
 شعر الوجه « أنيس الطلعة » دمث الطبع ، ابن الجناح ، وقور النفس ، بعيد
 غور الحلم ، جميل النية ، نقي الصدر ، فصيح العبارة بليغها ، رخم
 الصوت ، يرتل القرآن ترتيلاً ترتفع له حجب الاسماع

له الشمسية في المنطق وقد طبقت شهرتها الافاق الهندية تبلغ مائتي
 بيت ونيّف وله رسالة في التجويد ، وله رسالة سماها حقائق الرند ترجمة
 ترجيع بند عربها عن التركية فجأت منظومة كأنها عربية الاصل ، وكل
 من طأ التعريب يعلم صعوبة السبك والنقل الى القوال العربية نثراً
 فكيف به نظماً واليك شيئاً من غيرها

كم في السماء من كُرّاتٍ جَلَّتِ * والارض عندها كِبعض ذرّةٍ
 وكم من الشمس والاقمار * بها وكم من ثابت وجاري
 وكل شمسٍ معها توابعُ * وكل تابع له متابعُ
 ومنها

لا تنتهي ذرّاتُ هذه الارضِ * وليس يمكن انفكاكُ البعضِ
 وجوفها مشتعل بالنار * وقشرها قد شقّ بالبحار

ومنها

للضعف صار الظبي لقمّة الأسد * والذئب أضفى طعماً له النقد

ومنها

لدرّة قد صدع المزار * لصوته قد حبس المزار

ومنها

ظلم القوي للضعيف جاري * في الأرض والهواء والبحار
وكلمها على هذا النمط اللينق

تولى التدريس في عدة حلقات من جوامع حلب ثم انتخب عضواً
لمجلس المبعوثان التركي . ولما اتاح الله الاستقلال لسورية عينته الحكومة
العربية يومئذ قاضياً على ولاية حلب ثم سمي بعد دخول الصاكر
الفرنسوية اليها وتسميتها دولة حلب قاضي القضاة وهو اول من لقب
بذلك منذ دخول الترك هذه البلاد

١٥ ❁ فيكتور خياط ❁

هو فيكتور بن فتح الله بن سمعان الخياط والدته شقيقة كاتب هذه
الرسالة ولد بحلب سنة ١٨٧٨ وتوفي في ديار بكر سنة ١٩١٠
طلع غصناً نضيراً في رياض الادب ، بل كوكباً منيراً في سماء
حلب ، لنقاد شتى المماني لانفاظه طائعه ، وتبرز من منسجم نظمه في
حلال رائعه ، وكان يرجى ان يرى له فضل جزيل ، لو انصفه الدهر
واين الانصاف من لثيم بخيل

كان ممتلئ الجسم ، ملبح القوام ، يميل الى الطول ، جميل الهيا ،
اسود الشعر ابيض اللون مشرباً قليلاً بحمرة كبير الرأس ، لطيف
اليدين ، حسن الطلعة بادي البشر ، واسع الجبين ، جميل الانف
وكان يتكلم ويكذب بالفرنسوية والاطليانية والتركية ايضاً ، سريع
الحفظ ، جيد الذاكرة ، غزير الادب ، سديد النقد ، حسن الاختيار
دقيق الوصف ، مستعذب النظم ، حلو الحديث ، رخيم الصوت ، عارفاً
بفنون الغناء ، طيب النفس ، شريف الخلق ، كأنه صيغ من معدن
اللطافة ، وجبل بماء الرقة

نظم الشعر فتياً وشعره نكلمه على حد قولهم كتابة المرء مرآة نفسه
فهو يكاد يسبل رقة وانسجاماً واليك من ذلك قوله في جزيرة الامراء
احدى جزر القـطـيـنية المسماة بالتركية بيوك اطه

سارَ فُلكُ الصفا بنا في المـاء * داحراً حلة الدُجى والمـاء
راح ينسلّ بمنة ويساراً * بين داعي الهنا ووقع الفناء
وصنير يحكي العويل صـدا * وضجيج يفضي الى الجوزاء

ومنها في وصف السفينة المعروفة هنت بالواخر الخيرية

فاعتلى المركب الصغير كمنظما * في يروم المسير فوق الماء
تارة يذئني وطوراً تراه * يفتنى كالحية الرقضاء
موجة بعد موجة بعد اخرى * كجبال يمدن في البيداء
زجر الريح فوقها ثم ارغى * زبد البحر منذراً بقضاء
وعلا من منافذ الفلك صوت * كزئير مروع وعواء
ودخان يشور فيه شرار * صاعداً كالغمام نحو الفضاء

وصراخٌ فمَشَّةٌ فبكاءٌ * فوداعٌ الاباءَ للابناءَ
ومنها

وترأت لنا على البعد ارضٌ * خالها البعض شعلةً من ذكاء
وفريق قضوا عجائباً وقالوا * تيزكٌ قد هوى من الخضراء
حملته البحار فاعجب لئلا * لم تصبها المياه بالاطفالا

كلما سارت السفينة بانث * تلکم الارضُ فتنة للراي
قد احاطت بها الجزائر والاء * لام والرايات كالخفراء
ومروج نضيرة وغياض * ومريع الحدايق الغناء
وهي طويلة وكلها على هذا النمط الانيق

وكتب اليها يقرظ كتابنا منهل الورد ، وكان يرانا بعين ملوها
البر والوداد

رفعت لك الاداب خير بنود * وسما بمدح علاك بيت قصيدي
ولقد زها روض الغنون وأينعت * افئنه بفعالك المهور
اسست للنقد المبين قواعداً * في أقوم التوطيد والتحديد
ومنها

فعدا الكتاب قلادة الحسناء في * جيد الزمان بدره المنضود
وخزانة الادب الصحيح وروضة الـ * فضل الرجيع وقية المرید

فاذا كتبت فانت افضل كاتب * واذا نظمت فانت خير مجيد

واذا تطلعت فساجعات حمام * واذا خطبت فمطربات العود

لك في حى الشهباء صيت طائر * وبمصر ذكر وافر التحميد
فالفصل يذكر عند ارباب النحى * والعرف يعرف باشتعال العود

لا بدع إن موضوعه ارتخ مما * في القدر 'نعرف قيمة المنقود

١٩٠٧

° وكان لازال مذكوراً باكرم الشيم والخلال عضواً في محكمة الحقوق
البدائية ثم سمي عضواً لهكمة الاستئناف الحقوقية في ديار بكر فذهب اليها
ولم يلبث بها بعض اشهر حتى اصيب بحمى لم ترحم شبابه الرطيب ،
فقضى وذكروه باقٍ في افواه عارفيه كالطيب .

١٦ ❖ ابحاج مصطفى الانطاكي الحلبي ❖

لم تقف على سنة مولده ولا تحققت لدينا سنة وفاته ويظن انها كانت
سنة ١٨٩١ . مسيحية في القسطنطينية

شاعر مريع الخاطر . له من القريض الحرب والعامر ، رأينا في
حدائثنا مرة واحدة ينظم بديها ، ويمجد وصفا وتشبيها ، ثم وقفنا في هذه
الايام على قصيدة بخطه نظمها سنة ١٢٨٦ هجرية بحلب ليست من جيد
شعره ، على انه كان ذا حفظ موفور في نظم الاغاني المعروفة بالقدود وسترى
مثالا من الشعرين

وكان ربعة الى القصر ، مليح الوجه ، اسود الشعر والعينين ، صغير الرأس
 ابيض اللون ، صغير الانف والفم ، رقيق الشفتين لطيف الصوت
 نقلت به الاحوال فقصد بغداد وتعرف الى احد تجارها واشتغل مضاربة
 بالمعاديات مدة من الزمن ، وقد اخبرنا ثقة رآه هناك وعاتبه على بعده عن
 وطنه واهماله الشعر فقال له انها بضاعة كاسدة وهذا الرجل — يريد التاجر
 البغدادي — يثق بي و... في بلدك لمتاجرة بالمعاديات ، ثم انه قصد القسطنطينية
 ولعل ذلك بغية بيع ما كان لديه من المعاديات ، ثم توفي بها وقيل ان
 شعره الكثير ظل بين اوراق السيد ابي الهدي الصيادي . اختلط بها والله اعلم
 وهاك القصيدة التي اشينا اليها اعلاه

اقلوا ملامي وانصفوا واضح العذر * ورقوا له وارثوا لميت الهوى العذري
 وقد جزتموا في لائم حدأ وجرتم * فخرتم وما حزتم سوى الاثم والوزر
 خلعت عذاري في العذاري ولم اخف * ملاماً يربات الاساور واليزد
 وملكت رقي للهوى فاسترقني * ولم يخطر السلوان يوماً على فكري
 اعلل نفسي بالتواصل واللقاء * وان كان من اهوى مصراً على الهجر
 جرت عادة العشاق قبلي بانهم * بياتون طاوين القلوب على الجمر
 هنيئاً لمن يعرف الوجد والهوى * ولم يدر طعم الحب يوماً مدى الدهر
 الى كم اقامي جور احمر فاتن * اغن ربيب فانك ناحل الخصر
 نفور بدا تحت الغلائل يتثني * كريحانة تهتز من نشأة السكر
 طابق المحيا يزدرى الشمس نحره * ومن فرقه الوضاح يا خجلة البدر
 وعن جيده مذ راح يرفع شعره * فزحزح ذيل الليل عن غرة الفجر
 ترى الموت مقرونا بمقلته التي * لهاروت اوصت بالكهانة والدمر

متى حركت بالغمض جفنًا تسابقت سهام المنايا للقلوب على الفور ومنها:

لعمري ان تبغي بقاء مودتي فلا تمدحن غيري بنظم ولا نثر
سوى الشهم

فقوله اليزر هكذا وجدت بخط يده وهو لا شك يريد الازر جمع ازار
واليزر لغة سامية بحلب وقوله وعن جيده مذراح الخ لا محل لهذه الواو
الماطفة الا ان يقال انه اراد وقد راح يرفع شعره عن جيده وحينئذ لا محل
للفاء من زحزح اللهم الا ان يقال ترزح يحمل زحزح لازماً . وقوله ترى
الموت مقروناً بقلته الخ هو من اقبح التركيب كما يظهر بادنى تأمل وقد اعاد
هذا المعنى بنفسه في البيت التالي ولكنه اخف على الاذن بما قبله ، وعلى
الجملة فليس هذا من الشعر الرصين

وقال رحمه الله

حاز الجمال بخده المتورد	وبدا يصول برمح قدّر امره
سأت لحفظ الدر في كنز الاحى	لحظه سيني مرهف ومهتد
فسمعت انامله بمورد ثغره	ياقوتة نظمت بسلك منضد (كذا)
نسج ايادي الحسن ابعى حلة	ضمت غلائها قوام محمد
وله	

كفى بقلبي غراماً حين ذكراك	يذوب شوقاً الى باهي بحياك
يادمية الحسن يامن في الهوى حكمت	على المحبين في التعذيب عيناك
تملكتني صبايات الهوى فاذا	وحدي بكل الذي يا هند يهواك
لم يبق وجهك في شمس ولا قر	حسناً ولا برق نوراً من ثناياك

نسيم زهر الربى ما لذّ موردّه لولا يبلغ للشتاق دياك
يسرّ قلبي الهوى والدمع يظهره يا من لطف شجيّ لم يذلّ باكي
نمتّ عليّ دموعي في الهوى فانا اموت وجداً واحيا عند رؤياك

قوله في البيت الاخير رؤياك يريد رؤيتك

ومن احسانه

على ياقوت وجنته تبدى زمرد عارض بالنبت اخضر
على تلك المحاسن اذ توفت يُكرّر اربعاً الله اكبر

ومن قدوده المشهورة على لحن اذا انجلوا الخ

مذ اقبلوا اخجلوا الاغصان بالقد المائل

وكم قتيل بكحيل اجفان حلو الشمايل

ومن لمى ثغره الالمى اهنأ مشروبي

وجيد المحبوب افتناً بالحيل والميل قد ذبت بالميل

دور

على الوتر ورخيم العود طافت بالكاس

اخت القمر فتنة الوجود منية الناس

وقد ظهر بالشعر المعقود ضوء الالماس

يروى الخبر عن عقد البنود تحت الغلائل

ومن قدّ على لحن يا محبني يدين المصفوره

عليّ قدر بالحسن عن كل وصف مستغني

عليه لم ازل اثني ان جار او لن يجورا

دور

وزانُ خديـه احسنُ في نقطة الخدّ الايمن
اذا وقلبي مسترهـن في قبضتيه مأسورا
ومن قدّـ آخر

منية الارواح منّت بالتلاق وتناهى الوجد مني للعناق
ثم مدّت تبتغي حل النطاق ممصاً يشكو لها ضيق السوار

١٧ . نصر الله الدلال

هو نصر الله بن عبد الله الدلال خال كاتب هذه الرسالة الثاني وشقيق
جبرائيل المشهور المتقدم الذكر ولد بحلب في الثالث عشر من تموز سنة ١٨٤١
وتوفي في بيروت في الخامس عشر من نيسان سنة ١٨٨٣
علّامٌ فضل وجمال ، وطودُ حزم وكمال ، جمع بين الرقة والمهابة ، واصالة
الرأي والنجابة .

كان يحسن التكلم بالتركية والفرنسوية والاطليانية ويكتب بها كلها ،
وكان ذا وقوف على اكثر العلوم المصرية ولا سيما الطب والطبيعات
والفلسفة والادبيات ، لكنه مني منذ الثلاثين من عمره بعملة في المدة حالت
دون ما كان ينويه من مصاحبة القلم وملازمته . حتى قضى في بيروت نجاة
بتلك العملة .

وكان ربعة القوام ممتلئ الجسم في اول شبابه كما يعلم من رسم له في ذلك
العهد ابيض اللون مشرباً بلون وردي ، اذرق العينين ، اشقر الشعر ، جميل
المحيا ، بهي الطلعة ، تلوح على محياه انوار الوقار والذكا ، رزيناً فصيح

العبارة نقي" اللفظ " يخوض في سائر المعارف ، وله رسالة عنوانها منهاج العلم طبعت في حلب سنة ١٨٦٥ في اقسام المعارف ومراتبها وفوائدها . وله كتاب عنوانه اثار التدقيق في اصول التحقيق طبع في بيروت سنة ١٨٨١ وموضوعه ضرورة قيام الاحكام في المجتمع البشري لدوام عمرانه قياساً على احوال الممالك الثلاث في الكون ، وهي الجماد والنبات والحيوان ، ولعله نظم شيئاً من الشعر ولم يصل اليها ، اذ كان منزله مشابة شعراء وقته وفضلانه كفرنيس المراثي وانطون الصقال وابي بكر زبيده وغيرهم وقد مدحه الشاعران المتقدمان ، كما سبق ذكره في ترجمة احدهما .

١٨ الشيخ بكري الزهري الكاتب

لم نقف على سني ولادته ووفاته ، ولا على غير ذلك من علمه وسائر حالاته ، وانما وصل اليها من شعره ما نشبته بالحرف ، وهو كما ترى على غاية من التكلف والضعف .

مهفّف قد زهت خداه بالخفر	وقد اتى لحظه في آية الحور
يا لائي فيه لو شاهدت صورته	امسيت مثلي حايك الوجد والقدور
خطأر قامته عسّال ريقته	انوار طلعت غشت سني قرر
ان الكواكب ان لاحت محاسنه	تسهو لديه حياء سهو معتذر
يدوي لنا وجهه نور الصباح كما	روى لنا ثغره عن نشره العطر
لله در جفون في القلوب لها	هتك وفتك فلم تبقر ولم تذر
صبح الجبين بدا من ليل طرته	لولاه طال علي في النوى سهري
قوامه غصن بان والجمال له	في كل جارحة نوع من الشعر

اقدية ظبياً نفوراً من تلفته ارام نجد غدت في التيه والحير-

١٩ ﴿ الشيخ محمد الوراق ﴾

ولد - لب سنة ١٢٤٥ وتوفي بها سنة ١٣٠٨

١٨٢٩ - ١٨٩٠

كان عالماً فقيها ، وفي علمي اللغة والحديث نبها ، وهو اخر عالم فقدته
البلاد السورية ، في فني الموسيقى والالخان العربية ، اذ فيما نظن ان وفاة
الاستاذ ميخائيل مشاقه الشامي هي قبل هذا التاريخ
وُروى ان له عدة مجاميع ضمنها من الطرائف والظرائف طائفة كبيرة
مما له ولغيره ، فهل في الحمى اديب عالم بمكانها ، فينتضيها انتضاء السيوف
من اجفانها ، ويبرزها ابراز النفائس من صوانها
وكان اوصى ان لا يُحفظ وُظن بعضهم ان ذلك لفرط شحه ، فان كان ما
دفعه الى ذلك ما ظنوه ، فهو من الغرابة بمكان

وكان يقرض الشعر ولم يصل اليها الا ما نشبته هنا ، قال مخمساً
بانت سعاد وحبل الود قد صرمت وادعت في الحشا نارا وما رمت
بالله ان بعدت عن ناظري ونأت خذني بعينك يا حادي فان ظمئت
ردها دموعي ولا تأمن من الفرق

لعل في القرب ان احظى ولو نفسا فاني في النوى قد ذقت كل اسي
ويا حويدي أنخ بي ان اتيت مسا وحسبك النار من احشاي مقتبسا
واحذر تداني مكان القلب تحترق

وله في بيع الارض المعروفة بارض المشنقة بحلب

يا جاهلاً ما أحقّه وافق أهل الزندقة
يقول لي من رافقه وافق شنّ طبقة
بكبة مشوية قد باع أرض المشنقة

ولما وقف على هذه القصيدة صديقنا رأس الظرفاء الشيخ كامل الغزي
قال قد أراد الشاعر أن يحطّ من قدر البائع والحقيقة أنّه
بكبة مشوية وخمرة ممتّقة
ووجنة فائمة فاباع أرض المشنقة
والوراق شعر كثير لم نقف عليه

٢٠ ﴿ القس أو غسطين عازار ﴾

لم نقف على مولده ولد بحلب وتوفي بها في ٢٩ شباط سنة ١٨٨٨
شاعر ذو قريحة فياضه ، وسليمة في بحار الشعر خوضه ، بتصرف
بالكلام تصرف العاجن بالمعجون ، فاذا هو طوع براعته منظوم موزون ،
لاحاه الدهر فبدل صفو أيامه بالكدر والالم ، واذاقه من الشقاء والذكاء ما
يحلو في جنبه العلقم ، فقضى في شرح الشباب ، شهيد الفاقة والاصاب
كان قصير القامة ، ضعيف البنية ، عصبي المزاج ، اسمر اللون ، اسود
العينين ، حالك الشعر ، اسبل اللحية ، صغير الانف والفم ، مخروط الوجه ،
رقيق الشفتين ، طيب الخلق ، حلو العشرة ، فصيح العبارة ، جيد الحفظ ،
مليح المزاح

وقد عرفناه أيام فتوتنا معرفة لها منا اطيّب ذكر ، وصحبنا صحبة
اصنى من ماء الغمام او هي الخمر ، وصرت لنا وفتية من محبي الشعر ،

اجتماعات به كانت مواسم العمر ، و ليال ساهرات كانت غرر الدهر
ومع ان شعره كثير فقد لعبت به ايدي الشتات فلم نعثر منه الا على
غريض من فيض قال يهني البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٨

نادي المنادي بوحى الله ما كُتبا في اية النصر ان الليث قد غلبا
ليث من الانس تخشي الارض سطوته
في الغرب والشرق أن عجباً وان عربا
ومنها .

لذا السياسة في الدنيا له اعترفت بالفضل واتخذته سبداً و ابا
به استمات سلاطين العقول على تمزيق ما هان او تذليل ما صعبا
وقال يهني القس بولس الحكيم بارتقائه اسقفية حلب على الطائفة
المارونية ١٨٨٥ وقد ضمن التاريخ آية

قد قام في الشهباء بولس عصره يرعى نفوس المؤمنين ويحرس
ناديت ما قد ادرخت شمس الشا اذ الاناء المصطفى يا بولس
ومن شعره ونظمه في رثاء العالم انطون الصقال المتقدم ذكره
هوى طود بيت العلم وانهد ركبه

وبيت الحجا سلمت دعامته الكبرى
لذلك على تأبينه العلم والحجا قد اتفقا ما الدهر ابقى له ذكرى
وكان هنا بقصيدة لم نعثر عليها بين اوراقنا ولا نذكر منها الا بيتين
او ثلاثة قال في مطلعها

سبت الغزاة بالملاحه والخور انسيمة زفت الى ظبي اغر
ومنها

‘خلقت كما شئت فدونك آية’ من ابداع الايات في خلق الصور
وختامها

لا زالت قسطنطين عسرك ناهياً متأمراً فبفضلك الدهر افتخر
وقال يرثي فتاة في مقتبل الصبا
شموساً قد عدمننا ام بدورا فارخت ظلمة الليل الستورا
تري ماذا جرى في الكون حتى توارت نيرات الافق نورا
واي النائبات السود دارت فقد ابت الدوائر ان تدورا
واية دمية قد غادرتنا فعطمت الدمى منها النحورا
ومنها

توسدت الفلاة فتاة حي رحيب الصدر كان بها جديرا

وقد وقع له في شعره ترا كيب ضعيفة وجل بقي معناها في ضميره ،
والبعض منها مختل المعنى كقولة توارت نيرات الافق نورا ليت شعري ما
يفهم من ذلك ؟ ولعله يريد توارت انوار الكواكب في نواحي السماء ، فلم
يوفق لسبك هذا المعنى بما يناسبه من اللفظ فنظمه مظلماً كما ترى . و كقوله
فقد ابت الدوائر ان تدورا ، ما الذي يفهم منه بعدما صدره بقوله واي النائبات
السود دارت ، اما قوله رحيب الصدر كان بها جديرا في رثاء فتاة ، فهو من
نقص الذوق بمكان ، ولم يوقعه بذلك كله رحمه الله ، الا سرعة النظم ونقص
التثبت ، ولا ريب انه لو فسح له في الاجل ، واعاد نظره فيما تقدم وامثاله
من شعره ، لما غادر فيه لناقداً سبيلاً

وله كتاب خلاصة المعرفة في اخص قضايا الفلسفة وكتاب آخر عنوانه
وحدة النفس البشرية والكتابان مطبوعان

٣١ ﴿ عبدالله افندي البخاري ﴾

ولد بحلب وتوفي بها نحو سنة ١٢٢٠

مسيحية ١٨٠٥

من اسرة لها في المجد أعراق ، وفي طلب العلم وقرض الشعر انجساد
واعراق . اما السيد عبد الله المترجم فلم نتوصل الى الوقوف على سنة ميلاده
ولا غير ذلك من شؤونه التي كنا نود ان نشبع ترجمته بها وقد علمنا انه تقلد
منصب الافتاء بحلب سنة ١٢٠٠ هجرية اي سنة ١٧٨٥ مسيحية ، ووقفنا
له على شعر قليل ، ينبي عن جلاء في القريض عريض طويل ، ويا حبذا لوزادنا
منه الصديق عبد الحميد افندي الاتي الذكر ، فبحمل هذا النظم يقال شعر
اغنى عن خمر

قال رحمه الله واجاد

ساعض اجفاني على مضض القذى وان حسب الجمال اني جاهل
الى ان يتيح الله للناس دولة تكون سوى الارذال فيها الوسائل

وقال

ولما صفي وقتي مع الحب ساعة حنانيك لو شاهدتني وخضوعي
وادركنا لا كان صاح رقيبنا رجعت بحال لا رجعت رجوعي

وقال مضمناً

اذا كنت مرثاحاً الى الراح دائماً ترى عيبة حسناً وترضاه مشرباً
فصبراً على خير الخمار وضراً بما قلت اهلاً للكووس ومرحباً

﴿ محمد اسعد البخاري ﴾ ٢٢

لم نقف على سني مولده ولا وفاته

هو ابن اخي عبد الله المتقدم الذ كر تولى الافتاء بحلب بعد ابن عمه احمد
افندي الذي تولاه ايضاً بعد عمه عبد الله المذكور ولا نعلم من امره غير هذا
على ان النموذج القليل الذي لدينا من شعره يدل على انه كان من روائض
القوافي ، وفرسان القريض لا فرسان الفيا في

قال واحسن

يقولون تب والكاس في يد اغيدـ وصوت المثاني والمثـال حالـ
فقلت لهم لو كنت اضمرت توبة وعانيتُ هذا في المنام بدالي
قوله بدالي من باب الاكتفا يريد بدالي بداء ، اي تغير رأبي على ما
كان عليه

وقال مخمساً الابيات المشهورة

لم يبقَ في الدنيا مواخـ زمنُ الرجا ولى وشاخ
يا ناعياً زد بالصراخ خلتِ الرقاع من الرخاخ

وتفرزنت فيها البيادق

هي جيفة حظ الكلاب فترى الكرام بها تُصاب
ولثامُها تُعطى النصاب وسطا الغراب على العقاب

واصطاد فرخ الـوم باشق

حكم الاله فلا اعتراض لرفيمها بالانخفاض
فانظر الى ذا الاعتياض سكنت بلابلة الرياض

مذاصبح الخفاش ناطق

ذهب الخليل مع السميع 'وضع العلي' علا الحقيير
وانحسرتا ابن المجير وتسابت 'عرج' الحمير
فقلت من عدم السوابق

٢٣ ﴿عبد الحميد البخاري﴾

ولد في حلب سنة ١٢٠٨ وتوفي بها سنة ١٢٧٤

١٧٩٣ - ١٨٥٦

قال

كن في امور الدين صاح متابعا لئنقل واجتنب الهوى والوسوسة
واترك لما في العقل يخطر انما علم الشريعة ليس علم الهندسه
وقال

وليلة قامت براغيثها ترقص مذ غنى لها البق
فكدت من غيظي لافراحها انشق لو لا الصبح ينشق
هذا كل ما وصل اليها من ترجمة هــذا الشاعر على ان البيتين
الاخيرين فيما نظن ليسا من شعره وقد يكون رأها كما رأيناها في
بعض كتب الادب فاثبتهما في اوراقه بغية تشطيرهما او لسبب آخر
والله اعلم

٢٤ ﴿الحاج صدق البخاري﴾

ولد بحلب سنة ١٢٤١ وتوفي بها سنة ١٣٢٠

١٨٢٥ مسيحية ١٩٠٢

هو ابن عبد الحميد المتقدم الذكر كان من اعيان حلب المشار اليهم

بالبنان . مشهوراً برجاحة العقل وحسن البيان ، رزيناً متوفراً الفهم ،
المعياً كامل الحلم .

وكان حسن القائمة الى الطول ، نحيف الجسم ، ابيض اللون ، مليح
الملامح متوقد النظر ، خفيف اللحية تلوح على وجهه لوائح الذكاء
والفطنة .

قال وهو معنى حسن

ايا من يدعي حباً لشخص . اذا حقت ما المحبوب غيرك
تميل الى الذي تهواه منه وما تهوى سوى ما فيه خيرك
وقال يصف مدينة بيروت حين زارها

صحراء بيروت زهت نضرتها لاسيما اشجار روض الحرش .
قد بسطت اكفها تدعو لمن يزورها بنيل طيب العيش .

٢٥ ﴿ محمد نصوص الجابري ﴾

ولد بحلب سنة ١٢٧٧ وتوفي بها سنة ١٣٣٤

١٧٦٠ مسيحية ١٩٠٦

هو ابن الحاج صديق المتقدم الذكر كان محتدل القوام حسن الوجه
ابيض اللون اسود الشعر مليح الجملة فصيح العبارة يميل الى العزلة شاعراً
المعياً واكثر شعره في الزهد

قال رحمه الله من قصيدة طويلة

كل الذائذ والامال زائلة وبعد عين يعود الكل في خبر .
فليت شمري ما الدنيا وزينتها وما التفاخر بالاموال والدر

وما التصدر لعليا بمد يد
لاثم ثم امتداد في ثرى الحفر

وقال من قصيدة اخرى طويلة

لي في ذرى الحيا احباب قد امتنموا
بهية الحسن عن تجويز وصلهم
ظلمت نفسي في دعوى محبتهم
وعن غرامي سموا كالشمس في الظلم
فاكظم رجاءك في ارجاء كاظمة
واسلم فديتك لا تطمع بذي سلم
واقصر هوي طالما فيه هويت الى
وهو الهوان وهذا الذل والسقم
هل يجهد الحر في تملك مهجته
لمن يرى سلبها من واجب الذمم

٢٦ ﴿ احاج عبد الكريم بذكره ﴾

هو حطيثة عصره ، وابن حجاج قطره ، لم يعرف له شعر خال من الهجاء
ولا اشتهر له نظم تنزه عن البذاء ، وكان يتعاشى لسانه الاكابر ، ويخاف
قذعة المامة والاصاغر ، وقد تحرش باكثر شعراء وقته ، فكان مجالياً على
حلبة بهته ، ووقع له في عرض مجونه وتلك السخافات ، وملوحات استهجنها منه
القوم وفكاهات ونكات ، ولا سيما في موشحه الذي اشتهر به ، وسارت
الركبان في طلبه ، لما تضمنه من الكنايات والمادريز ، وهي المعروفة باصطلاح
عامة حلب بالتأخين ^(١) والتعريض ، ولما كان اكثر شعره بل كله من هذا
النوع ، ورأينا ان موشحه المذكور خال من القذع والسب ، وانه هزل لا ذم ،
كما ذكر في عرض النظم ، ولم يكن لنا مندوحة عن ذكر شيء من شعره ، وقد
الح علينا بعض الادباء بنشر شيء من هذره ، ولا سيما وان من سبقنا من
افاضل المؤرخين والمترجمين ، كصاحب اليتيمه وابن خلكان وغيرهما من

(١) قال في الاساس وشتمه ولحنه قال له يا ابن اللخنا.

المتقدمين . لم يتخرجوا من نشر فاحش القذع وقبيح السباب ، الى غير ذلك من رث المجون وهجر الخطاب ، لاعتقادهم انهم ينقلون ما قيل ، وان ليس على الناقل سبيل ، على ان الكثير من ذلك الخطل اجدر بالستر ، كما ان كتبه قليلة نقص بتاريخ العصر ، واخلال بفرض الترجمة وبيان اخلاق القطر ، ولما كان في الموشح المذكور ذكر لكثير من قرى حلب وضواحيها ، بحرفة من الناظم عمداً للوصول الى ظواهر الممازحة وخوافيها ، رأينا ان نشبتها كما اثبتها الشاعر ونضبطها في الشرح تحرياً للفائدة واتماماً للفكاهة ثم لا بد من التنبيه على ان فيك وفيها وسائر الضمائر الموثقة تمود على لحية المخاطب في اصطلاح اهل اللحن و (التلخين) وفيكم وفيهم وسائر ضمائر الجمع المذكور عائدة على شارب الخطاب

وكان المترجم مارقاً بفن الغناء وله الفة وصحبة مع جماعة المغنين المشهورين في حلب لعمده بارياب الفن وما ادراك من هم وفيهم ابن عبده والحاج اسماعيل الشيخ والدالي والدرويش صالح وابن عقيل واحمد سالم وغيرهم ممن ملكوا فاصية فن الغناء والموسيقى العربية وما فيهم الا كل ذي صوت يسحر البلابل ويهزم الاشجان والبلابل ولهم في الدطابة والظرف نوادر وايات ، وفي سرعة الجواب واصابة المعنى كلمات مستحسنات ، وكانوا في خفة الروح غاية الغايات ، فدخل عليهم عبد الكريم يوماً وهم في فرح عند بعض الاعيان فما وقعت اعينهم عليه حتى استقبلوه باغنية (اكرُك) يا ياسمين الجنائن على لحاك ، وهو من باب التلخين الذي ذكرناه فصبر عليهم ، وهم والقوم يقهقهون وهو يكاد يتمزق غيظاً حتى اتوا على آخره فقال لهم ان رذالتكم تمر مرة السحاب واما شعري فخالد فيكم يا كلاب اكتبوا :

ورب 'شدة' كالحمير نواحق - بختاف الاصوات من غير ضابط -
 مزايرهم دلت على حسن صنعمهم كما دأت الارياح عن است - ضارط
 وقال في مطلع قصيدة هجا بها الشاعر الهلالي الحموي المشهور
 اذ كرتني تسحنحي وسعالي - وضرطي في الليل ذات الدلال -
 فاجابه الهلالي بقصيدة قال منها
 ولي في فقا عبدالكريم علامة - تخبرني عنه وفي وجهه اخرى
 ولما بلغ القلم الى الموشح عصا في كتابته بالرغم مما سردناه من البراهين
 وبهذا القدر كفاية .

﴿ ٢٧ ﴾ الشيخ عبد الله سلطان

ولد بحلب سنة ١٢٦٤ وتوفي بها سنة ١٣٢٩

١٨٤٧ مسيحية ١٩١٠

إحد علماء حاب وادبائها ، ومدرسي إحدى مدارسها والباءتها ، قرض
 الشعر فاحسن في أكثر منظومه ، ورد اعجازه على صدره وقرن بين بليغه
 ومفهومه ، ولم يكن مكثراً وان كان سريع الخطار ، وكانت بيننا وبينه
 مودة لها منا الذكر العاطر ، وكانت صلة الادب تجمعنا به كثيراً في أيام
 الشباب ، وصرت لنا معه مجامع انس هي من حسنات الدهر ، ومواسم
 العمر ، ومنها اننا كما وعصبة من اهل الادب والظرف قضينا يوماً رمدت
 عنه عين الزمان ، في إحدى جنائن باب الجنان ، حتى اذا قاربت الشمس
 الغروب ، والآن يترقرق في النهر كالتبر المذوب ، ومغزينا يسحر الالباب
 بانشاده ويسكر القلوب ، هاجتند اجيوش من البعوض الرميض ، وله في

تلك البقعة سلطان عريض ، واذهمنا لنتقي مكاناً آخر قال الشيخ علي
البدية :

وعسكر البق مذ جاءت تحاربنا عند الاقاهزمت جنداً من البشر
ثم التفت الي وقال أجزه ، فقلت وكيف اجيزه والواو في اوله عاطفة
بلا معطوف ، فان اذنتم جعلت بيتكم ردفاً ولكم فضل المتقدم
قال ذاك اليكم فقلت :

تحت الغصون وبين الماء والوتر كم جيش هم كسرنا كسر مقتدر
وعسكر البق مد جاءت تحاربنا الخ
فاستحسن كل الاستحسان

وكان رحمه الله مدحنا بقصيدة منذ عهد بعيد واجبتنا عليها بقصيدة ايضاً
ولم نمر عليها بين جموع ادراقنا ، ولكن بقي في محفوظنا مطلعها فمطلع
قصيدته كان :

طلعت لديك بطالع ميمون عذراء ذات محاسن وفنون
ومطلع جوابها :

أعلمت ان البدر لا يحكيك والدر من بهض الذي في فيك
كان طويل القامة ، حنطي اللون ، حالك الشعر ، اسود العينين ، مخروط
الوجه ، مليح الانف ، عصبي المزاج ، فصيح اللسان ، جيد البيان ، مقبول
النادرة ، طيب الحديث ، رحب البسال ، محمود المغيب ، شديد
الواصل انتخب عضواً محكمة الحقوق في حلب فكان فيها مثال
الاستقامة ، وهو من بيت علم مشهور ، وكان ابوه تقلد منصب الافتاء في حلب
قال مضمناً :

زار الجيب الذي قد كنت اعشقه
وقد سرى المشق من سمي الى بصري
على السماع فحيانا واحيانا
والاذن تعشق قبل العين احيانا
وله الموشح الاتي :

يا غزال الحى من واد الحمى
وجلا من وجهه البدر كما
صاد بالاحاظ اُسْدَ الحَرَسِ
شق صبح الجبد ليل الغَاسِ
دور

رقم الحسن على غصن الدلال
آية النمل على خد الجمال
والعيون النجل بالسحر الحلال
وندى الورد بالخد غا
وبه صارم الحظر حرما
بيد التصوير في الوجه الجميل
يا لعمرى جل هذا عن مثيل
قصرت للعمر بالهدب الطويل
حول سوسان بابهى ملبس
نظرة الوجه على المقتبس
دور

يا نبي الحسن منك المعجزات
فصباح الوجه فيه البيّنات
وسمّا الخد اندى البركات
وسنّا الشفر نجم رجما
ونذير الطرف داع حكا
قد ازاحت ظلمة الشك المريب
اطلع الشمس على غصن رطيب
وبه الخال يرى قطبا عجيب
مارد المذل بشهب القبس
ان دين الحب قتل الانفس
ومنه دور

يا نديم الانس ان الشرب طاب
فمقيق الشفر بالكاسات ذاب
فاجلها صرفا فما احلى الشراب
زمزم الكاس فذا وقت الربيع
وجرى الطل على الروض الينيع
بين ورد صنع مولانا البديع

فادار الكأس لما زمزما طيب الراح بطيب النفس-
وفم الابريق لما ابتسما بكى السحب بروض النرجس-
وكتب اليها

كلامك التبرقسطنطين منسبك كالعقد في جيد هذا الدهر منظوم
وغيره خزف والغش داخله ولو يموتها الحساد مشنوم

٢٨ الشيخ محمد ابو الوفاء الرفاعي الحلبى

ولد بحلب سنة ١١٧٩ هجرية وتوفي بها سنة ١٢٦٤

١٧٦٥ مسيحية ١٨٤٧

الشهير بالشيخ وفا ابن الشيخ محمد ابن السيد عمر الشهير بالرفاعي
عالم اعلام مصره ، واسبق شعراء عصره ، نظام القلائد والنفائس
وموشى الفرائد والعرائس ، رب القرينة الفيضة ، وفارس البديهة المرتاضة ،
كانما شعره كله من السهل المتنع ، بلغ الغاية من حسن المطلع والمقطع .
كان عالماً بعلوم التوحيد والتفسير والفقه والنحو والصرف والمعاني ، قرأ
على ائمة وقته وهم ابو الشيخ محمد الرفاعي والشيخ اسماعيل المواهبي وكان
مدرساً في الجامع الاموي بحلب وقد اجازه بالعلوم المذكورة والاجازة
محفوظة الى اليوم في بيته . والشيخ قاسم بن علي بندير ابن محمد المغربي
الاندلسي الغرناطي ، والشيخ الامام محمد الكزبري الدمشقي وغيرهم من
علماء وقته .

وكان ربعة ممتلئ الجسم ، ابيض اللون صبيح الوجه اسود العينين ، مايح
الانف والفم على غاية من الجمال ، وورث حسن الصوت عن ابيه وجده ،

وكان يُلقَّب بالزينة كجدته لما اجتمع له في صوته من الحسن والجمالة ، وكان كلما رتل في الجامع او في زاويته ، يجتمع الناس من كل حدب ، وتصعد النساء الى السطوح لشغفهم باستماع صوته ، وكان يقيم الاذكار الشاذية مع ابيه في الزاوية المعروفة بمسجد خير الله في محلة الاكراد بحلب وهي المشهورة بالزاوية الرفاعية ، وهي زاويتهم الاصلية ، وله غيرها اربع تكايا ، ولما ادرك المجرى والده ، انتقلت اليه مشيخة الطريقة .

ووقعت منازعة بينه وبين بعض مشايخ حلب على احدى التكايا التي كانت تحت توليته ، فقصد القسطنطينية واتي من حفاوة وزرائها وكبرائها به ما يقهر عنه الوصف ومدحوه ومدحهم بالمشهور والمظلوم ولا سيما شيخ الاسلام عارف حكمت وهو القائل عن نفسه

ألم تعلم بان سما . فكري تلوح نافقها شمس المعارف
تفرس والذي في المزايا فحين ولدت لقبني بمعارف

ثم عاد المترجم الى حلب وقد زودوه ببرآة سلطانية تمنع كل حاكم فيها من استماع اي دعوى عليه في التكية المذكورة .

وتولى حاب الوزير رضا باشا نحو سنة ١٢٤٠ هجرية فكانت بينه وبين الشيخ صحبة طويلة ومودة جزيلة وتلاحذ له واخذ الطريقة عنه وحبس اوقافا كثيرة على احدى تكايا الشيخ المعروفة بالتكية الترابية نسبة الى الشيخ الكبير المشهور بابي تراب شيخ واستاذ المترجم ، ثم عين رضا باشا المذكور بعد ذلك والياً على بغداد فكتب اليه ان يوافيه اليها ، فقصدها سنة ١٢٥٣ وبلاغها بعد سفر طويل مجهد كما يستدل من قوله عند اطلاعه عليها هزم بغداد ام ذا حام خبروني ان حالي عادم

هل وصلنا للحمى وانكشفت ببلوغ القصد عنا غم
شمت برقا لاح لي من بُعد ففؤادي حره يضطرم
وهي قصيدة طويلة .

ومدح مقدمة الى بغداد السيد عبد الحميد العمري الشاعر بقصيدة
تروي منها ما يأتي كما وصل اليها وهو لا يخلو من اغلاط نظنها من النسخ،
وفيها مدح صوته المشهور قال :

قد در ثدي الكمال من حب فأنجزت بالوفاء وبالادب
منّت على الزوراء في رجل (كذا) قدومه فرصة المرتقب
وفيه دار السلام قد سلمت بشري لها من طوارق النوب
ومنها

روى حديث الأمل واسندة عن والد منجب وخير اب
قرت (كذا) له بالعلوم قاطبة عجم الألفى وجهابذ العرب
قس اياد اعيت فصاحت اذ اسمع الصم ابلغ الخطب
يكاد صلب الصفا لخطبته يلين من حسن صوته الرطب

وفي البيت الثالث اشارة الى حادثة رفقنا على حكايتها فيما طالعنا من الاوراق
المتملقة بالترجم ، وجملتها ان احد المشعوذين في بغداد كان تكهن بحدوث
زلزال عظيم يقع في بغداد يومئذ وكان دخول الشيخ البهائي في اليوم الذي
عينه المشعوذ ، واذ لم يحدث شي . فقد شمل الفرح سكان بغداد جميعهم ،
وعدوا قدوم المترجم بركة او نعمة ، دفعت تلك النعمة ..

وقد ترجم المترجم عليه احد شعراء عصره الشيخ عبد الله الشهير بالعطائي
في رسالة جمع بها تراجم شعراء وقته الحلبيين وقد اقترح عليهم تضمين الآية

« أليس لي ملك مصر » وذلك سنة ١٢٠٤ هجرية ولم نقف من هذه الرسالة الا على هذه الترجمة قال ومنهم

السيد محمد ابو الوفاء الرفاعي غبوقي وصبوحي ، لا بل خليلي وشقيق روحي ، من نظمتني واياه سلك الرواية وانحمني بروياه (كذا) كمال الصحبة والرعاية ، متع الله به والده الاغر يحيى ذكر جده عمر ، فينوفه بحسن التلاوة والاداء ، ويروقه بالزينة على طول المدى ، ولا برح قرعة عين لجده ابي العلمين ، مؤيداً بفتوحات محمدية وامدادات احمدية ، ومواهب شاذلية ومشارب قادرية ، اذ هو شاب نشأ في خدمة العلم والطريق ، وشرب من الكأسين اهنى رحيق ، فقهه منوره باعتقاد ، وعلمه منزه عن انتقاد ، وسلوكه لا يشوبه رياء ولا خطل ، ولا يعيبه ازدراء ولا ملل ، فحبه كالسيف حده وكالنار شدته ، وكالماء في الصفاء ، وكالنسيل في توارد الانواء ، مع بديهة اطوع له من ظله ، واسرع اليه من ادارة قوله ، ومن نظر في ابياته بعين وائمة سير مقالتي ان صادقة او غير صادقة ، وهذه هي :

لك المحاسن طراً	وانت عنه المودى
وانت في كل شيء	ظهرت سرّاً وجهراً
قد لفت لي فيك سابي	ولو تهتكّت ستراً
وكل ما اخترت عندي	عذبٌ ولو كان مرّاً
ما شئت فافعل بصبر	بحاله انت ادرى
الملك ملكك حقاً	ومدعيه تجراً
حيث استخف ونادى	اليس لي ملك مصر

انتهى ما قاله العطائي .

وقال يمدح الوزير علي رضا باشا المتقدم الذكر :

انار الحوائك لما بدا هلاله له الروح مني فدا
يطوف علينا بكأس الصفا فيحلو لنا وردها موردا
يروح بها قرأ ناضراً ويندو بها غصناً املدا
فنصبح منها نشاوى بها غيل لها ركما سجددا
هي الخمر ما ملأها شارب ولا صاح منها ولا عربدا
بل اعتادها القوم اهل الوفا فالبوا الوصول لتهج الهدى
وقد ظفروا بالاماني بها وقد احرزوا مجددا الاتلدا
الا فاسقينها وعلل بها فوادي من الميم واجل الصدا
مع الابد الشهم سامي الذرى عميد المعالي علي كتبخدا
امير له رتبة شاوها يزاحم في السوود الفرقدا
حميد الصفا وكافي الكفاة وحامي الحماة وبجر الندا
وطود أشم وبجر خضم وبدر اتم اذا ما بدا
حليف المكارم الف التقى له حبرات المعالي ردا
تسنى اعلى سنام السهى واعطى الجزيل واسدى الجدا
ومنها :

وسارع للخير واعتاده وطرق المكارم قد مهّدا
وجدد ما قد وهى من بنا تكية قطب كمال الهدى
وبيت التاربخ

وقد جاء تاريخها صادق بحسن الخلوص بنا مسجدا
وله من ارجوزة في الاولياء المدفونين في حلب .

الشافعي احمد فرد العصر
ملحقة بتربة المزاولة
بزينة الدنيا غدا مشتهرا
بالاتفاق وجمال الاقرا
اذا تلا القرآن بالتجويد
او قام في المحراب فاض الدمع
وكان في القرآن قد تمهرا

وانزل مغربا لقهر المصري
ضريحه في تربة ممتازه
غريبه ضريح جدي عمرا
في عصره وكان شيخ القرا
منفردا بصوته الداودي
اذا رقى المنبر يصفى السمع
قرا على المصري البصير عمرا

وله في باب الغزل او التصوف شعر كثير روى لنا منه غيباً احد احفاده
صديقتنا الاديبة الشيخ رضا الرفاعي حصة حسنة ، الا انه ضمن علينا بساعة
طلبناها منه لاكمال هذه الترجمة ، ثم اعترضت حوادث ضاقت عن الجمع بيننا
وبينها ، ثم سألنا عنه فعلمنا انه ترك الوطن واستقر في هينتاب فبعثنا اليه
بكتاب منذ عهد طويل ولم نأخذ منه جواباً الى هذه الساعة .

ومما نحفظ من غزله ، قطعة من موشح رويناها في كتابنا منهل الورداد

قال

جل من ابدع ذا الوجه الجميل
وانا المغمى بالفرع الطويل
فاكشني عن وجنة الخد الاسيل
ناعم الوشى طرى الملمس

يا مهابة البان يا ذات الدلال
غلب الوجد وليل الهجر طال
قد كالمية اس لولا الازر سال
لارى نقشاً عليه رسماً

وله

مرحباً مرحباً باهل الجمال
اننى عندكم عزيز وغال

رفع الحجب عن بدور الكمال
سادق سادق بحقي علمكم

لم يعد لي حبيب قلب سواكم
زال رسمي وحال حال خيال
ومنها

ملكوني بلطفهم ورضوا بي
عبد رقبتي فسدت بين الرجال
ومنها

واذا ما الصدود انى وجودى
رحموني وانعموا بالوصال
واوصى ان يكتب على ضريحه قبل موته

بمين العناية والاصطفاء
حماني الهى وعني عفا
وشاهدت من فيض احسانه
نمياً كبيراً وكأناً صفا
وقال عبيدي وفا ارخوا
بحسن ختام الورد وفا

سنة ١٢٦٤

واوصى ان يكتب على جانبي الضريح
اذا ماتوفى الله نفس وليه
تهون عليه سكرة الموت بالحق
وما هي الا دعوة واجابة
ويخلص من رق الكشافة بالعتق

اما مؤلفاته فهي كثيرة فمنها الارجوزة المتقدم ذكرها في السماء الاولياء
المدفونين في حلب وهي نحو خمس مائة بيت ، ورسالة خطب زكاح ، ورسالة
في صيغ الصلوات على النبي ، وديوان خطب خطبها في الجامع الاموي بحلب
ورسائل عديدة مبعثرة في علوم شتى وديوان شعر كبير وغير ذلك من
الاخوانيات ورسائل الاكابر



٢٩ السيد مصطفى ابن السيد يوسف الشهير بالصائغ الحلبى

لم نقف على سعة مولده ولا سعة وفاته والكنة من اهل هذا القرن كما يستدل من مدحه الشيخ وفا المتقدم الذكر ولم نقف له على غير هذه القصيدة .

قال يرثى الشيخ علي بي تراب استاذ الشيخ وفا ويمدح الشيخ وفا . ننشر هذه القصيدة كما وصلتنا ونظن فيها شي من اغلاط الناسخ ايضاً .

كيف اسلمو من به عة لي سبي	ملك القلب بحسن الادب
كامل الاوصاف ذاتاً سيد	هو شيخى مرشدي في مذهبي
زاهد عما سواه قلبه	كان للزهد كام واب
موقر الله عند موته	مستجير بالتهامي العربي
اسمه الشيخ الترابي نسبة	لعلى كان قصد المطلب
اذن باسرار الكمال لابنه	ابي الوفا ابن الرفاعي الانجب (كذا)
ذو فخار وكمال وتقى	طاهر الجدين ذاكي النسب
منع الاسرار عين الفضلا	طيب الاعراق عالي المنصب
ساد في ارشاده بين الورى	بطريق الحق حق الواجب (كذا)
في طريق اشرفت انواره	خلوتي اخلاصي نوري ذهبي (كذا)
وكذا نقشي وبخشي شاذلي	ورفاعي قادري المشرب
وسطوحي عيذروسي بدوي	ودسوقي ادهمي الموكب
رب فامنحني بسر منهم	وعلى الاخلاص فاحسن ادبي

٣٠ محمد آغا الميري الشاعر

هو من معاصري الشيخ وفا الرفاعي السابق الذكر لم نعتز على ترجمة له ولا على شيء آخر من نظمه ولعل بذكر اسمه في هذه الرسالة تفبيهاً لمن يعلم عنه شيئاً من محبي الفضل لا ثباته في آخرها . قال يمدح الشيخ وفا :

يا من غدا شيخ الادب	يشهد ذا من في حاب
اهدي لنا من نظمه	عقداً بديعاً منتخفاً
قد صاغه الشهم الذي	جمع الفضائل والنسب (كذا)
ذاك الوفا خدن الملا	من الرفاعي انتسب
انعم به من فاضل	حاز المحامد والحسب
حبراً لقد ملا الدلا	ادباً الى عقد الكرب
واذا علا خيل القرير	من حوى السباق بلا نصب
يا فاضلاً فاقت فصا	حتى مصافيع العرب
فهاكها (كذا) مريبة	زفت لافضل من خطب
لا تبتغي مهراً لذي	كسوى القول المضطرب
واسلم ودم طول المدى	تبدي البدائع في الادب

هذا ما وقفنا عليه لهذا الشاعر .



٢١ جرجي بن ميخائيل العبد بنى الكلبى

ولد سنة ١٨٦٧ وتوفي بحلب سنة ١٩٠٣

قرض الشعر وحام حـول بحوره ، وطاف بكوزوسه وشـم شيتاً من
خوره .

كان ربعة الى الفصر ، نجف الجسم ، ابيض اللون ، متناسب اعضا .
الوجه ، في عينه حـول .

تلقى علومه في مدرسة الالباء رهبان مار فرنسيس بحلب وكان مارفاً
بالفرنسوية والتركية ، دمت الاخلاق لطيفاً ذكياً ، قال من قصيدة

أسلوت ام تارت بك الاشواق	يا قاب سل ما هكذا العشاق
يا قلب مالك ساكن متبلبل	طوراً تجد وتارة تشتاق
ما عدت اعهد في الهوى لك حالة	مذ خافتك اسيرها الاحداق
فاذا عجزت ولم تعد تقوى على	حمل الهوى سل اهله ما لاقوا
حملوا على اعناقهم اثقاله	حتى التوت من حمل الاعناق
وردوا الردى رغم العدى وتحطفوا (كذا)	بالصبر حتى كاد ليس (كذا) نطاق
رغموا انقوا العاذلين وما انشوا	عن خمره من سكرها ما فاقوا
هانت نفوسهم فما ضنوا بها	وسموا فصادف جدّهم اخفاق

وقال

كيف التذاني والمزار بعيد	ولم التذلل والقلوب حديد
ولما التمل بالاماني والمني	ألفيد وصل الغانيات يعود
وتعود افراح نوت بنواهم	عن حيننا ويعود ذاك العيد

اشتيت شمل الصبح يجمع شمله بحبيبه والله ذك شديد
ويروق صفو العيش بعد اسآة ويعود عهد السلم وهو فقيد

وقال في مطلع قصيدة

خذها ارق شذا من الصبآء والذ وردآ من زلال الماء

ولا يخلو هذا الشعر من اغلاط لغوية وضعف في التركيب كقوله ما عدت اعهد في الهوى لك حالة الخ يريد ما عدت اعرف . لان ليس هنا موضع العهد وان كانت فيه المعرفة كما يظهر بادنى تأمل ، وبجلة البيت تركيب عامي ، اما قوله وردوا الردي رغم المدي وتخطفوا الخ فـا موضع التحطف هنا ؟ وهذا الفعل لا يتمدى بالباء ، ولسنا ندري ماذا اراد بالنطاق ، ثم ان كاد لا تقترن بليس في حال من الاحوال كما هو معلوم وبهذا القدر كفاية .



٢٢ حبيب العبد بنى الكلبى

ولد بحلب سنة ١٨٤٠ وتوفي بها سنة ١٩١١

هو حبيب بن جرجي العبد بنى عم المترجم السابق من اسرة قدمت حلب منذ قرنين ونيف .

كان ربة الى القصر ، حنطي اللون ، مخروط الوجه قليلاً ، عصبي المزاج نحيفاً وارد الاونية ، ساكن الريح ، طاب العشرة ، صادق الود .
صاحب الشاعر المشهور فرنسيس المراس دهرأ ، وكان كثير الملازمة له بعدما كف بصره ، يكتب له دون عوض .

وكان يعرف بالالحن . ويضرب على الاوتار ، ويحسن الصفير بالنساي ، قرض الشعر قليلاً ، وكان يهذب له ما ينظم بعض اصدقائه من ادباء وقته ، وكانت له فتوحات في التواريخ قال مؤرخاً مولده :

انا في شهر اذار ولدت اياذوي العليا
علمت اى تاريخ دخلت هدم الدنيا

سنة ١٨٤٠

وفال مقرظاً صرأة الحسناء :

(كذا)

انى لاعلم صاحب الديوان ذا اا
من رام يدرك قدره ينظر الى
فهنالك يحكمكم بعدما يلقاه في
مراس لم يهوى الى الاطراء
ما قال في صرأته الحسناء
تاريخه ذا اشعر الشعرآء

سنة ١٨٧٤

وقال

مدحتك للتهاني لا لرفدٍ ورحمت مؤرخاً ذكراً لذكري

سنة ١٨٨١

وقال لينقش فوق عين ماء اجراه الى بلد الاسكندرونة احمد مختار باشا

والي حلب يومئذٍ وهو من ابدع التواريخ:

اشرب هنيئاً داعياً للمليكنة عبدالعزيز بطول جانبه العريض

ولا حمد المختار واليما الذي جعل المياه لكل تأريخ تفيض

سنة ١٢٩٠ هجرية



٣٣٣ الشيخ احمد المكنسي الملقب بالمحجوب

ولد بحلب نحو سنة ١٢٥٠ وتوفي بها ١٣٠٧

مسيحية ١٨٣٤ ١٨٨٩

لقب بالمحجوب لفقد بصره صغيراً بعملة الجدري المشهورة :
كان حافظاً اريباً كامل الظرف ، يميل الى المزاج والالحان والعزف ،
خفيف المعاشرة ، لطيف النكتة والنادرة ، عارفاً باصوات الغناء ، يهترلها
اهتزاز الفصن في الهواء ، يتسامح مع اصحابه في مجالس الانس والطرب ،
حتى لا يشغلهم بفكاهته عن الراح والضرب ، وكان يتردد اليها ترداد نسيم
الربيع ، ولنا معه مجالس في عصبة يتنحى لها الاصمعي والبديع ، وكان
يلقب بيننا بأبي العلاء ، لضرارته وتسامحه وما هو عليه من الذكاء .
وكان متوسط القامة ، عصبي المزاج معروفاً ، مخروط الوجه مشوهاً
بالجدري كل التشويه ، حنطي اللون ، كبير الانف ، غليظ الالواح ، يميل
برأسه عند المخاطبة يمنة ويسرى ، كثير البشاشة ،

ولم نقف الا على القليل من شعره ولم يكن كثيراً ، قال :

حمى الله من تلك المحاسن اربعاً باربعة يبقين ما بقي الدهر
قوامك والقنا وشعرك والدجا ولفظك والصهباء لحظك والاسمر
وقال مقرظاً امرأة الحسناء :

أبدرتم بدا من بعد اخفاء ام غصن بان زها في ثوب هيفاء
ام التأليف تروي عن مؤلفها بانه في الوري كالنقط للباء
ذاك ابن مراش ذو الاداب من شهدت له تصانيفه في حسن انشاء
دوانه لاولي الاداب دونه فلا تكن يا اديباً عنه بالناء

سحراً حلالاً غداً يحلو لسانهم بشرى لفارنه والحظ للراي
فتزده الطرف في روضاته عجباً تغنيك ابكاره عن كل عذرا
ابياتة الراح تشتاق النفوس لها تنفي المعاني بها عن كأس صها
ونورها مذبدا طبعاً مورخها يهدي به فزهت مرآة حسنا

سنة ١٢٨٨ هجرية

وله مزدوجة طارت شهرتها في حينها ، حتى لم يبق متأذب او قاري في
هذه الافطار ، الا رواها او كتبها ، ولم يبق اديب في حلب لم يزد عليها دوراً
او بيعاً ، وكأها انتقاد وطعن في رجال حكومة حلب وبعض اعيانها وهذا اولها :

آهاً وواهاً لانقلاب الدهر وكثرة الفجور في ذا العصر
قد اصبحت بلدتنا في اسر من معشر تضاعوا بالكفر
قلمنة الله عليهم تجري

قد اظلمت ديارنا بالوالي ذاك الشقي السي الافعال
منتجع الومال والنكال مذمم الافعال والاقوال
منجس في البر ثم البحر

ومنها في مجالس التجارة

وابعد بنا عن مجالس التجار وعصبة الاشرار والفقار
فصيحهم ينهق كالحمار رئيسهم يصلح للمدار
يالت يدري انه لا يدري

ومنها في الشرطة وكان اسم رئيسها اشرف بك

وان تجد يوماً عجوزاً ضارطه فاخبر بها البوليس ثم الضابطه
فاشرف يأتي لها كالماشطه مؤملاً منها ببذل الواسطه

وقائلاً من بعدها لا تخف .. وهذا القدر كفاية

٣٤ جرجي الكندرجي الكلبى

ولد بحلب سنة ١٨٧١ وتوفي في مدينة اركاشون بفرنسا سنة ١٩١٨

شاعر كَأُ روح ، تعبق اللطافة من انفاسه وتنفوح ، هام بالشجر والهواء ،
وعشق محاسن القبة الزرقاء ، وشغف بالرياض والبساتين ، وافتتن بالزهر ولاسيا
بالياسمين ، تشجيه الالحان ، فيحيل كانه ثل ببنت الحان ، ويطرب لنغمات
الاطيار ، طَرَبَةً لنقر الاوتار ، وكان مغرماً بكل مظهر من مظاهر الكون ،
يرى فيها من ايات الجمال الف شكل ولون ، فالغيوم والامطار والعود
والبروق ، والشايج والبرَد والغروب والشروق ، والانهار والبحار والسهول
والجبال ، والمواصف والذِسم الى غير ذلك من المشهودات والاحوال ، كان
لكل منها اثر في نفسه ، لا يذوق معناه الا من كان حِسَّة كحِسِّه

وكان معتدل القامة ، ضعيف الجسم ، نحيف البنية ، عصبي المزاج ،
اسود العينين والشعر ، متناسب الاعضاء ، مخروط الوجه قليلاً ، حاد الذهن ،
ذكي الفؤاد ، شديد الشعور ، يجذب محدثه برقته وحسن بيانه ، حلو العشرة ،
صادق الطوية ، ينظم الشعر بغير تكاف ، ويغلب السناد في بعض قوافيه ،
وقد نظم كثيراً الا انه لم يجمع من شعره غير نُخبة سماها الزهيرات ، طبع
حضرة اخيه الفاضل صديقنا الطبيب الجراح النطاسي السيد ليون الكندرجي
مئة نسخة منها فقط اهداها الى اهله واصحابه بوصية منه .

تلقى دروسه في مدرسة الاباء . رهبان مار فرنسيس بحاب ثم قصد القسطنطينية
ودخل المكتب السلطاني فيها وظل فيه ثلاث سنوات يتلقى العلوم واللغات
فخرج منه اديباً كاملاً ، عارفاً بالتركية والفرنسوية والطيانية يتكلم

ويكتب فيهنّ جميعاً بغاية السهولة ، ثم عاد الى حلب واتخذ وظيفة في المصرف
العثماني ثم استعفى منها بعد سنتين وقصد بعد ذلك بلدة باريس فوجد وظيفة
في محل اوروزدي بك التجاري المشهور ، ثم ما لبث ان عينه مدير هذا
المحل رئيساً في قلم المحاسبة ومفوضاً بالامضاء ، لما رأى من امانته وذكائه
ونشاطه ،

ثم توفيت شقيقته سنة ١٩٠٤ وتوفيت بعدها بقليل قرينته وكان يحبها
كثيراً فجزع عليها جزعاً عظيماً صاحبه في سائر المدة التي عاشها بعدها .
وكان شديد الحنين الى وطنه ، قل من شابهه في ذلك ، لا يفتأ يذكر
حلباً وضواحيها ، ومعارفه ومن صاحب فيها .

وكان بينه وبين صهرنا السيد البير حمصي صداقة منذ المدرسة فلما زار
باريس مع زوجه ابنتنا عليّة في اوائل سنة ١٩١٢ حياها بقصيدة قال في مطلعها
اهلاً وسهلاً بمن تآقت جوانحنا الى لقاهم فكاد الشوق يضلينا
هل يا ترى قد حلمنا ام تماينهم الحاظنا ونحييهم بايدينا
ومنها

اهلة عن سما الشهباء ما غربت الا لتشرق في باريستا حيننا
كانوا الالهة قبلاً عند فرقنا واليوم شحنا بدوراً في تلاقينا
ومنها

نحن شوقاً لاوطان يشتهنا عنها الزمان ولكن ليس يلهينا
ومنها في مخاطبة اهل وطنه

احبابنا قد جعلنا من سرائرنا في البعد عنكم لذكراكم بساتينا
ازهارها من نبات الشوق رائحة نجني الشقائق منها والياحيننا

ان تذكرونا فما الابعاد فاصلة كم قرب الذكر ارواح المحبين
وقد احسن في هذا البيب غاية الاحسان .

فبعثت ابنتنا اليها بهذه القصيدة وطلبت ان نجيبه عليها فاجبناه بما يأتي :
يا جنة الارض يا اقصى امانينا لا شيء عن حب ذاك الحسن يلهمنا
باريس يا زهرة الدنيا وبهجتها جمعت من كان عن ذكر الكر يغنيننا
ومنها

تلك المنازل لا ننفك ذكرها ايامنا ضاحكت فيها لياليها
اذ الشباب رعاها الله مقتبل واذا دعانا الى اللذات داعينا
حيات يا خندق المنار^(١) من فلك كم فيك ملهى عليه البعد يبكيننا
ومنها

ويا ملاعب حور اللطف قد هبطت من سدة الحسن تجري سحرها فينا
ويا حديقة لو كسحجور لا برحت تلك الدمي ببديع الحسن تحظينا
روحي فدى ظبايات فيك ما عرفت نفور وحش بانس لاحظ تسبيننا
ويا مواضع صفور كلها عجب ويا مجامع فضل للحريرديننا
ومنها

باريس يا زينة الدنيا ومفخرها ومنبع العام يحكي جريه السينا^(٢)
ويا نعيماً لاهل الارض قاطبة وموطن الانس انصافاً وتأميننا
كم شاد اهلك قصر المعارف قد غذوا بها الجهل زقوماً وغسلينا
ومنها

فيم المقام بارض نستهان بها والغرم يلزمنا والغرم يظميننا

فيمَ التشوقُ للوطان نندُبها
يا ضيعةَ العمرِ والاتعاب في وطنِ
يا نازلين بدار السعد انْ لكم
ان كان اخلاصكم يُدني البعيدينا
ان تنزحوا عن بلاد الشرق انْ لكم
لا تحسبوا غربة الاحرار منقصةً
انتم مقيمون في اعلا المنازل من
ان كان ذا البعد يضنيكم ويضنيانا

ومَنْ بها ليس يرضى ان يُصافينا
ما أنْ كسبنا بهِ دنيا ولا ديناً
فيها مواطن ليست للمقيمين
فان اخلاصنا ما زال يُقصينا
في الغرب قدراً وعزاً للمحبينا
ما دمتُم بديار الفضل ثاويناً
قلوبنا في لقاءٍ او تدانيها
فالذكر يُنعشنا والحب يدنيا

ثم اتاح لنا القدر السفر الى باريس سنة ١٩١٣ فاجتمعنا به وشهدنا من
حفاوته بنا وفرط رفته ، وحسن وفائه وطيب عشرته ، وكرم خلاله ، وصدق
اقواله وافعاله ، ما ندیم له اعطر ذكر ، وننشره اطيب نشر ، وكان رحمه الله
عندما نهضنا الى العود للوطن ودعنا بقصيدة قال في مطلعها .

يا راحلاً في امانِ الله والنعم-
لقد تزودت من باريس بهجتها
ما كلُّ ضيفٍ كمن قامت تودعه
ما كلُّ يومٍ لديها عالمٌ صدعت
عداها الضيف فالشهباء سائلة
وقل هناك لاهل الفضل ان بحثوا
اصبو اليهم بوجد دائماً ابداً
ما خرة الروح الا من تذكرهم

هلاً حلت سلاماً فاح كالخزم-
فخذ مع الزاد ودّاً غير منثلم-
يهدي لها الدرّ منظوماً من الكلم-
منهُ النعي مغلفات العرب والعجم-
حصيتها الرسل من طير- ومن نسيم-
عن حالي اني باقٍ على شيعي
وذكرهم في حديثي لذة لفمي
ريح الصبا تجتليها فهي من خاسي

ومنها

أراهم كل يوم في مخيلتي كما تراءوا لعيني قبل تركهم
أرى العزيزة الفيجة تجمعهم كالأنجم الزهر بل ازهى من النجم
وقال في بركة إيمان ما تزدري عنده اللؤلؤ والمرجان

هنا تشتهي الأرواح حقاً خلودها وتلهي عن الفردوس بالعالم القاني
هنا الماء درى والجبال جواهر ودائرة الأفاق أطواق مرجان
هنا الكون سحر والعروس تسربت بافخر أثواب وأبدع ألوان
فللفجر خز والغروب أطالس من الأزرق الشفاف والأحمر القاني
عقيق ياني وفيروز فارس وما ذلك التشخيص في وسع أمكاني
أهيل النهي بالله أن ضل رائدي فلا تنشدوه في لحاظ واجفان
غرامي بهذا الحسن شرعي ومذهبي وشوقي إلى لقاء مشكاة إيماني
تغني به أوتار روحي تنزلاً وآياته راحي ونقلي وندماني
إذا لم يكن لي بين قومي مزية فتمجيد هذا الصنع شأني وعنواني
سلام على هذي الربوع ورحمة ومن بركات الله هطال رضوان

وقال من قصيدة يصف جنة من جنان باريس وقد أجاد غاية الاجادة
حتى ليس لمستزيد زياده .

ضحك الرمان واللوز استحي وانحنى الزيتون والسرو استقام
وبكى الصفصاف لامن المهر بل لوجد فهو صب مستهام
وحكى التفاح في حرته جرات النار في احبي العرام
لبس الشمس ثوباً مذهباً فاعتري الدراق هم واهتمام
واكتسى الخوخ لحزن بردة اشبهت زرقتها عرق الرخام

واستراح النخل في قرب الصنو
وانزوى البأوطُ يهوى فسحة
واختلى الزعرور منهوك القوى
وتنحى التين عن جيرانه
وظلال الدلب في الصيف حث
ونما السعترُ في ظل القرن
وصنوفٌ فاتي تعدادها
وأعشابٌ تشأت والتوت
ومنها يشكو اوجاعه وعلاته ويصفها وصفاً يلين له الجلمود لو عقل
ويستنزل أسحائب الدموع من المقل .

آه لولا السقم كم أسكرني
آه لولا عاتي كم هاجني
ومنها

ما افاد الزهر والروض ولا
ما نفى الويل تفادي زوجة
ومنها

لم اذق من عيشتي غير البـلا
وقال قبلها

علةٌ في الخلق اوهت جلدي
علة ادمت فوادي كـداً
ان مضى يومي على جر الـاسي
خلفت جسمي جلدأ وعظام
ونفت عن مقاتي طيب المنام
كر لي لي بدواهيـه الجسام

من كظام دونه بلمع الحصى ودغام دونه وقع السهام
انني حي كمن تحت الثرى ودع النور وامسى في ظلام
وقال في ختامها

يا بني الشهباء بالله اذكروا فانيا لم ينس عهداً وذمام
ينشد الاوطان في نكبتها وزماناً مر فيها كالمنام
يسأل الله لها بعد الشقا نعمة جأت وعزاً لا يُرام
ومنها

يلفظ الروح على ذكراكم رحمة الله طابكم والسلام
١٩١٦

وهذا اخر ما كتبه وكان كافاً بزهر الياسمين

انا جى الياسمين بما اقاى فيسمعني ويرثي لى الصموت
يزور سرير اوجاعي فتسمى الى لقياء من طرب نعوت
ومنها

اقبله فاق لقم طويلاً فينعمشني وفوق في يموت
ويا لله من سكري بعطر وارواح بها روي اقوت
وقد انساب الى جسمه اللطيف دأء آء ، لم ينفع فيه طب الاطباء ،
صاحبه سنوات اربع ، لم يذق فيها لذة يقظة ولا مضجع ، وقد وصف آلامه
في اكثر منظوماته الاخيرة وصفا يستنزف الدمع ، ويخلع الفؤاد والضلع ،
الى ان قضى في الثامن من نيسان سنة ١٩٨٨ فبكاه اهله وذووه ، وعارفو
فضله ومحبوه ، وفيهم الرياض والياحين ، ولا سيما الياسمين .

٣٥ عبد الفتاح الطرابيشي

ولد بحلب سنة ١٢٧٧ وتوفي بها سنة ١٣٣١

مسيحية ١٨٦٠ - ١٩١٢

حرفته بيع الطرابيش كان ، محباً للادب ، كثير الولوع بقراءة الشعر جيد الحافظة ذكياً .

كان معروفاً ، يميل الى الطول ، مخروط الوجه ، ضعيف الجسم عصبي المزاج في طرفه حول ، اسود الشعر ، مليح العبارة .

وكان يقرض الشعر ملهوناً ، ويستعين ببعض الادباء على تهذيب بعضه ووجدنا له شعراً كثيراً غير مهذب فاخترنا له ما يأتي .

قال من خمرية :

يا من يلوم على صهبا صافية جهلاً ويشرب من دنياء اقدارا
اليك عني فاذا عنك في صمم خذ الجنان ودعني اسكن النارا
وقال من قصيدة :

ودتاح قلبي للنسيم اذا سرى ورب نسيم من شذا المسك اطيب
يذكرني عهداً قديماً قضيت له الحسن ديناً والملاحه مذهب
وقال

قد كان خلني عطاء الله ينفعني في عيشتي وعن الاغيار يكفيني
فبت من عظم نحس في الانام اري في كل امر عطاء الله يؤذيني
وكتب اليها :

اذا المجد قسطنطين ياذا المفاخر ويا من غدا في الدهر رب المآثر

اليك تيت اليـوم ارجو تطفلاً
 رقة قال لي بعض الافاضل انك
 احارة ديوان الاديب ابن عامر
 لديكم فقرتوا في لقاء نواظري
 فلا زلت للقصاداء ذب مورد
 يرجي والاداب اعظم ناصـر



٣٦ احمد الادلبى المشهور باحمد وهبى الكلبى الحلبى

توفي نحو سنة ١٣١٥ مسيحية ١٨٩٧

لم نقف على سنة مولده ، عرفناه يبيع الكتب في دكانه بسوق الطيب بحلب ويتعيش من بيع الكتب ومدح الاكابر ، وكان يتردد الى دكانه المذكور جلة ادباء العصر وظرفائه ، قرض الشعر على جهله بعمامة العلوم العربية ، وكان يلتبس من الادباء تصحيح اغلاطه ، وله شعر كثير ندر فيه الاحسان ، وواطأ بعضه بعضاً على التركيب العامي ومباينة البيان ، يجمع الفاظاً كثيرة ، على معانٍ فقيرة ، مع تكرار مستمر ، يبيت الحلو منه كالمزج .

قال يقرظ المرأة الحسناء .

هـذا كتاب جاء في عنوانه	بكر المعاني من بديع بيان
با صاح متع ناظريك بطرسه	وانظر رماك الله في اتقانه
واشهد لمنشئه الاديب بانه	قد لاح بدر العلم في افئذنه
بستانه قد راح يرشدنا الى	روح التمدن في هدى تبيان
ان قال شعراً لم نرى منه سوى	حسن البلاغة من فصيح لسان
ونظيمة قد راح يفعل بالنهاي	فعل الشحول بمفرم في حانه
لله درك يا ابن مراش اذا	شيئت بيت الشعر في اركانه
منه القضايا قد اتت بنتائج	اغنت قياس العام عن برهانه
حسان في عصر القديم وانت قد	اغثت هذا العصر عن حسانه
لو كنت في نجران قدماً لم يكن	قس الفصاحة ساد في اقرانه
دونت شعراً ما رأينا مثله	نظماً ونثراً من بديع زمانه

من حسنه ارتخت جاد بطبعه
مرآة حسن اعلنت عن شانه (كذا)
١٨٧٢

وقال وقد تمعد النجاس :

يا جيرة البان يا جيران جيرون
جرتم فن جوركم هلا تجيرون
غبتم فبان اصطباري يوم بينكم
مق يكون الاقا يا اعين العين
اطلتم البعد عن صب رضى كذا
فعاد من بعدكم في قلب محزون
اما عودته من بعد ان قضى فهي احدى معجزاته

وقال :

خير المدام بيوم الاله والطرب
سلافة حدثت عن سالف الحقب
قدية العهد من عاد معتقة
بالدن قد ختمت في لؤلؤ رطب
وافى بها الاغيد الميخون منعطفاً
نحو الرفاق ولون الكأس كالذهب
يديرها قرقفاً صرفاً ويمزجها
من الرضاب بمسول من الشنب
مذاقها قد حلا بالشرب قد مزجت
فمن لماه غدت اشهى من الضرب
يختال عجباً وتيهاً في معاطفه
كفصن بان زهي مائس رطب
ليل بطارته صبح بفرقه
بدر بطلمته بالحسن لم يغب (كذا)
سحر بعينه عن هاروت مصدره
جأت غرآته في اعجب العجب
وبهذا كفايه .

٣٧ عبد المسيح الانطاكي الكلبى

ولد بحلب سنة ١٨٧٤ وتوفي في مصر سنة ١٩٢٣

هو عبد المسيح بن فتح الله الانطاكي الحلبى كان ابوه فتح الله المذكور
اول من تعاطى صناعة المحاماة امام المحاكم في حلب وكان جريئاً عارفاً
بالقوانين التركية وهو نفسه ولد بحلب

وعبد المسيح ربعة الى القصر ، دموي عصبي المزاج ، ابيض اللون ،
اشقر الشعر ، مليح الوجه ، متناسب الاعضاء ، ممتلئ الجسم الى السرجين ،
طيب السيرة ، لسان ، خفيف الروح ، ذكي الفؤاد ، عذب المفاكهة .
درس مبادي العربية في حلب ، وا قدم على صناعة القلم منذ حداثة ،
وهو لا يملك منها غير الاسم ، فانشأ مجلة سماها الشذور ، وقرض الشعر وهو
لا يعلم من موازينه الا ما تزنه اذنه ، ولما لم يجد رواجاً لمجلته في حلب تحت
سماء الحكومة التركية لعهد السلطان عبد الحميد ، سار عن وطنه ودخل
مدينة الاهرام ، كما دخل صنعاء الحارث بن همام ، خاري الوفاض ، بادي
الانفاض ، فنشر فيها جريدة سماها العمران ، وراح يقارع صروف الزمان ،
ولم يزل الدهر يلح عليه في وثباته ، وهو يصارعه يجد اقدامه وثباته ، حتى
لانت له بعد خشونتها الايام ، وحققت آماله وكانت في عداد الاوهام ،
فاطاعته صناعة القلم ، وكتب ونظم ، وا قبل على المطالعة حتى وقف على
تأريخ العرب ومعتقداتهم في الجاهلية ، ووعى تأريخ الاسلام ومذاهبهم وما
قاله علماءهم وفقهآؤهم ، ثم حوّل صحيفته العمران الى مجلة كان يبعث
بها الى اقصى بلاد العرب والاسلام في الهند والصين وخليج المعجم ، ومال
فيها الى رأي الشيعة ، وكان منذ صغره ذا قريحة وزانة ، يسهل عليه النظم ،

فنظم مدحاً كثيراً طمّن بسببه عليه ، ولكن الحالة دفعت به ، فكان
يعتذر عن ذلك بقول الحريري

تعارجت لأرغبة في العَرَج ولكن لأقرع باب الفَرَج

وخير نظمه قصيدة سمّاها العلوية ، اظنها تبلغ عدة الاف من الابيات
وهي تأريخ حياة الامام علي رضه وما جرى له مع الخلفاء الراشدين نشرها
في مجلة العمران تباعاً ، وعزّزها بأقوال الائمة من الشيعة وبعض السنة .

وساح في الارض كثيراً فطاف بكثير من جهات الهند ودخل طائداً
نهاراً الى بغداد على عهد حاكمها ناظم باشا عقيب خلع عبد الحميد ، فاتهمته
الحاكم المشار اليه ببث الروح العربية لضلعه مع حاكم الكويت ، فامر به بالرحيل
عن بغداد ، وكان وقف جريدته العمران على مدائح الشيخ مبارك بن الصباح
حاكم الكويت الموماً اليه ، ثم طاف اكثر اوروبا ، ومن غريب امره وعجيب
ذكانه ، انه قضى في طوافه ذلك بعض الحاجات السياسية لبعض امراء العرب
في جهات عدن من شراء سلاح ومدافع ووسقها الى طالبها وهو امرٌ محظور
في اوروبا ولا سيما المدافع . كل ذلك وهو لا يعرف كلمة من اللغات الاعجمية
وظل حتى وفاته ينتمي الى خدمة الامير خزعل خان من امراء شط العرب
العرب في المحمرة وسمّاه شاعره .

رأيناه في مصر في سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ثم رأيناه فيها سنة ١٩٢٠ وحدثنا
في السفارين ملتقاه ، فهو نشيط عمول ، لا يعرف دعة ، دمث الطبع ، رضي
الاخلاق ، حميد العشرة ، ينصرف الى خدمة صديقه بغير تكلف ولا من .

واليك شيئاً من شعره قال من قصيدة :

ولذة جمع المال لا شيء مثلهما لدى كل حرّ قبل قد طالج الفقرا

وان الذي يحني النضار فائزُهُ
وامسى له صدر المجالس والملا
جنى معه الاعزاز والجاه والقدر
لتفخر اما حلّ من بينها الصدرا

ومن القصيدة العلوية :

وقال للمرتضى ربّ الذكا عمرٌ
ارادك الحقّ لكنّ الانام ابت
خفت عن عليك اباحفص بحقة من
فانما كان يوم الفصل عندي مـ
فدقّ كفّاً بكف ساهايا عمر
وسار تشبعه اصحابه وعلي
وبهذا القدر كفاية .

مقالةً قال قبلا ما يضاهاها
تلك الارادة نادى المرتضى لـ
هنا ومن ههنا الاقوال تلقىها
قاتاً واحواله ادرى خوافيها
بنظرة لا ترى قد راح يلقيها
عاد للخلوة المحمود راضيا

ومن طرائف النوادر ، التي يحسن تخليدها في بطون الدفاتر ، ما حدثنا
به عند تلاقينا في شتاء سنة ٩٢٠ وكما سألناه عن احد مواطنينا فاجاب ان
فلانا (بهدلنا) يريد اخجلنا وحقّرنا واخزانا ، قلنا ولم ذلك ، قال لانه منذ
حلوله بمصر لم يترك كريماً الا وتندى كفيته ، بل لم ينج عمدة في ضواحيها
من يديه ، ولم يبق غني الا واندى عليه ، ولم يكفه كل ذلك حتى استوكف
برّتي زاعماً انه يجمع صدقة لايتام ذوي فاقة ، فنفعته خمس جنيهاً لسلامة
صدري ، فما كان منه الا ان جعلها رأس مال يتبعجّج به بين القوم وراح يقول
هل تصدقون ان عبد المسيح يُقتل خمس (يبلّص) فقد اعتصرت منه خمس
جنيهاً وكيت وكيت ، كأن لم تكفه فملته ، فاراد ان يزيد الطين بلة
بتشعيري وتشهير براءته وكان رحمه الله يحدثنا وهو في اشد حال من الالم
والغيظ ، ونحن لم نكن نتعالمك من فرط الضحك .

٣٨ النحوري جرجس الدلالة أو الدلال

ولد بحلب في السنة ١٠٠٠ وتوفي بها السنة ١٨٩٤

هو ركن من اركان العلم ، واية في السذاجة والزهد والحلم ، كان ثقة اماماً في كثير من علوم اللسان ، كالنحو والصرف والعروض والبيان ، قرأنا عليه علم العروض ، ونرى ثناءنا عليه من اقدس الفروض .

تلقى علومه في مدرسة دير الشرفة بلبنان ثم عاد الى حلب وسيم شماساً ودرس في مدرسة طائفة السريانية وغيرها ، وكان يكتب للشاعر المشهور فرنسيس المراس بعد فقد بصره في جملة من كان يستطيع بهم الشاعر المذكور على الكتابة ، وكنا في فتوتنا حضرنا بعضاً من تلك المجالس ، اذ كنا باغراً المترجم عليه نقصده الى دار المراس لئلا يسمح له بالانصراف الى مدارسنا في ختام الساعة المتفق عليها بينهما ، ولكن هذه الحيلة لم تهدر الى المقصود ، اذ كان يتعذر عليه الانصراف في كثير من الايام ، لرغبة المراس في اتمام ما بدأ به من نظم او نثر ، ولم يكن يحسر احد منا على مطالبة بذلك .

وكانت تلك المجالس مجالس فضل وفكاهة ، لما كان يتخللها من الاحاديث المضحكة والنوادر البديهة ، ولا سيما جمعها بين الاضداد في الطبائع ، فقد كان المراس عصبي المزاج الى الغاية القصوى متلهب الذكاء ، حديد الفهم ، حاد البادرة ، سريع الغضب ، سريع الفينة ، وكان الشماس واسع الحبل ، بعيد الأناة ، لا يستفزهم نزاق ، فاذا اخطأ المراس فنذره لسذاجته بنبرة وتصريح دون تعريض او تورية ، كأن يقول هذا مما منعه الحريري في درة الفواص ، فيرشق المراس عثنون الحريري برشفة لو اصابته حياً ، لوجب عليه الغسل

سبعاً في سبع ، فيقول الشماس والقاعدة كما في جوف الفرا تخالف ما قلت ،
 فيبعت المراس الى جوف الشماس ، بما لا يرى عليه جواباً غير الابلأس ،
 ثم تأخذ الشماس الحدة فيقول ايش معنى هذا الكلام ، وهل شتمك رسبك
 يصير قاعدة ؟ فتقلب حدة المراس الى ضحك ، اذ يسمع قهقهة الحاضرين في
 فرط ضحكهم ، ثم ينفرط عقد المجلس .

وله رحمه الله شعر قليل وجلاه في الزهد ، ولم يصل اليها منه غير مطلعي
 قصيدتين ،

فالاول

قد اقبل العيد يزهو في سنا الطفل زهو المفاخر بالاقوال فالعمل.

والثاني

ارى الدنيا بهاها لا يطول وزخرفها برمتها يزول .
 وله روايات كشف البأساء في قصة الخرساء ، عربها عن الفرنسية
 والنفح الماطر في الفتى المهاجر ، واحسان الانسان وغير ذلك من المعرب .
 وكان ربعة الى الطول ، ممتليء الجسم ، دموي المزاج ، ابيض اللون
 اسود الشعر والعينين صغيرهما ، صغير الانف والرأس ، مرتفع الجبهة ، بطي
 الحركة ، شديد القناعة ، يحفظ على رأس لسانه كتابي جوف الفرا والجمانة
 في النحو والصرف .



٣٩ السيد محمد ابو الهدى الصبّادي الرفاعي

ولد سنة ١٢٦٦ وتوفي سنة ١٣٢٨

١٨٤٩ - ١٩٠٩

فردٌ من افراد الدهر ، وعَلَمٌ اعلام العرب في العصر ، بل انسان عين النباهة والفضل ، وعنوان المحاسن والظرف والنبيل ، جرى في المجد والجاه الي ابعد الغابات ، وانقطع عن شأده كل سبّاق في المجاراة ، ومشى ورآ خطواته الوزرآ والكبراء ، وقبل يديه اعيان العصر والاسرآ ، وانفرد عن الاشباه والظرآ ، فظل في صحابة عبد الحميد باقعة السلاطين من آل عثمان ، زهآ ثلاثين سنة في صعود وتوال ورفعة مكان ، ولم ينل احد من الامة العربية لا بل التركية ، ثالة عنده من المنزلة الرفيعة والحظوة السنية ، وكانت حضرته يومئذ في القسطنطينية قبلة ذوي الامال من القصاص ، ومثابة الغربآ على اختلاف الاجناس من اقصى البلاد ، فكنت ترى ابناء الهند والصين والافغان ، ومراكش ومصر والسودان ، الي غيرهم من اجناس الامم المنتشرة في ابعد جهات اسيا وافريقيا ، بل كثيراً من عظمآ الفرنجة يومون تلك الحفرة للتحدث في بلادهم بمشاهدتهم الرجل الذي طبقت شهرته سائر عروش الممالك .

وكان وافر الحظ ، ساهر اللفظ ، طلق اللسان ، حلو البيان ، ثبت الجنان ، فاذا افاض في كلامه ملك اعنة القلوب ، واسر النواظر فكأن كل انسان منها مسمع مجذوب ، وكان بعميد غور الحلم ، صادق الفراسة والحكم . وكان عقلة فوق علمه ، وحفظه وذكآؤه كسرعة فهمه ، ونثره ولاسيما في

الاخوانيات وغيرها من رسائله ، خير من شعره ، ونظمه المشهور كله في المدائح النبوية وهو مطبوع وله تأليفات كثيرة مطبوعة وجلها في اثبات نسبه الرفاعي ، وتكذيب من انكره عليه ، ومن مروياته ديوان الرواس (وهو مطبوع) وكان يقول انه شيخه وعنه اخذ العلم ، ويقول بعض الناس ان الرواس اسم وضعه هو لم يحنى لم يوجد ، وان الديوان الذي رواه ونسبه اليه ، هو نظمه ، ولله اقل تكلفاً من ديوانه ، والذبح واحد ، فان صحت رواية المفكرين كان نظمه ديوانه بعد نظمه ديوان الرواس ، او لعله اخرى مجهولة .

كان تام الطول ، مكثرت اللحم ، ممتلي البدن ، صاب العضل ، غليظ الالواح ، عريض المنكبين ، اسحر اللون الى الخضرة ، مستدير الوجه ممتلئ به ، اسود الشعر (اخر العهد به سنة ١٨٩٨) حسن الملامح ، جذاب الجملة .

ولد في خان شيخون قرية من اعمال حلب ، ولله تأدب في هذه المدينة اذ اقام فيها منذ فتوته ، وورد بغداد قام بها اشهر ثم رحل الى القسطنطينية ووافاه بها السعد الاتم . ولما هجم الاتحاديون على قصر السلطان عبد الحميد هجموا في الساعة عينها على قصر السيد المشار اليه ، وكان في سريره يعاني مضض الداء الذي اودى به ، فلم يقف ذلك في سبيلهم ، بل امروا بنقله على سريره الى جزيرة (الامراء) برينكيبو فظل بها بعض اشهر في فراشه حتى وافته منيته رحمه الله ، وجاد بسحائب الرضوان على ثراه .

وهذا شيء من شعره .

بماركني الزمان كما يشاء وبني للحزن نشر وانطواءه
ولي قلب عبث به الليالي بفقد احبتي والفقد داء

ولون الماء يبرزه الاناء
جرت عيني ومددتها دواء
عسى لا راع برهتها انقضاء

فأي مسرة تحلو لقائي
تتهافت الموم علي حتى
واوقات مع الاحباب مرت
وقال يفتخر

ولنا المجد طينة ورداء
ناس والناس بعدها اكفاء
ر رجال لها الشموس حذاء

كيف لا تزدهي بنا العلياء
امة خير امة اخرجت لا
قام منها في الاعصر السود اقا
ومنها

تشكر الارض فعلهم والسماء
سجدت حال اعدوا الهيجا
في الوردى الاقرباء والى مداء

ارهبوا الارض حين صالوا وظلت
ولكم حينما رعى الحرب دارت
وتساوى بطاعة الامر منهم
ومنها

لاح منها المحجبة البيضاء
يكون نور بهديده يستضاء
احرزت علمها به العلماء

شرف المرسلين معنى نصوص
نكتة الاصل روح جسم فروع ال
طلسم العلم في ضمير جناب
وقال

لهفاً عليه هجرت طيب رقودي
نبيل الجفون بقائي المكمود
مني بقلب حاضر مفقود
افنت ممالأه ظباء زرود
بيض المعاني في العيون السود

لله من ريم الحجون شرود
يرنو ودمي من قسي حواجب
افديه مكحولاً تحكم سهمه
يا للرجال ترجأ بمتيهم
انا مفرم كم صاغ ضمن نظامه

اهوى الجميل وان اقت مع النوى بيد البعاد مسربلاً بقيود

وقال واحسن كل الاحسان :

ما الذي اصنع بالنفس الابية تطالب المجد ولا تخشى المنية

وترى ان المعالي تبتغي

بكلمات واخلاق زكية

ما عليها لومع البعض ارتدت

لنـال القصد اثواباً دنية

طُبعَت قدماً مع الخلق على

همم لو ساعد الحظ عليه

تمشق المعروف للناس وان

قوبلت عنه بانواع الاذية

وتكف السوء عن حسادها

لرضا الرحمن عن خالص نية

ونحب البذل من ما وجدت

وترى النقص اذا ابقت بقية

ومنها

قنعت فالتحفت ثوب الغنى

كل نفس قنعت تلك غنية

واعنائى هذه متعيتي

انما النفس اذا عزت بليته

تكره الذل وترجو انها

تبلغ العليا بخلق وسجية

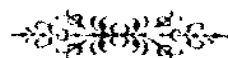
شرفت نهجاً فلها عظمت

رتبة صارت من المال خلية

وزمان ياله من زمن

اهله ساوا بكم الاغلبية

وبهذا القدر كفاية



٤٠ نقولاكي كبابه

ولد سنة ١٨٧٣ بحلب وتوفي بها سنة ١٩٢٣

هو نقولاكي بن نصر الله كبابه فقد اباه صغيراً وتلقى علومه في المدرسة الاسقفية للروم المكيين بحلب ، وكان يكتب على دروسه في العربية والفرنسوية حتى اصبح يكتب ويتكلم بالفرنسوية كواحد من ابناء تلك اللغة ، وكان له ميل شديد الى الشعر العربي ، وذا قريحة شعرية ، نظم ولم يصل اليها من نظمه ، الا ما نشر بعضه في اخر هذه الترجمة .

كان صغير الجثة ، عصبي المزاج كثيراً ، نحيل الظل ، معروق العظام مسنون الوجه ، احول العينين ، واسع الفم والشدين ، متفاوت الخلق ، ذكياً المعياً ، حسن العبارة ، جيد التعبير ، خفيف الروح ، طيب المشرة . ولما خرج من المدرسة اشتغل بالتجارة مع اخيه ثم افترقا ، فلم يكده يضحك الدهر في وجهه حتى عبس ، فظل يداوره حيناً ولكنه صارحه بالعداوة وما لبس ، ولما اشتدت عليه وقماته ، وضاعت به حلاته ، تناول كأساً من سمٍ ناعم ، واختصر حياة كان بها غير قانع ،

قال في وجوب تهذيب المرأة :

هذبوا المرأة يُسمدُ وطنٌ	وابذلوا السعي لنيل الاربـ
زينة المرأة علم وحجى	بهما تفخر لا بالنشبـ
ان تريدوا اليوم اصلاحاً لها	كي تفوزوا برجال فُجُبـ
فابدلوا المجهود في تثقيفها	ذاك خير من غنى مكسبـ

وقال في تعليم الاولاد وتاديبهم :

ابذلوا الاموال في تعليمهم انهم بالعلم قدراً يحرزون
 حببوا الصدق اليهم والوفا زينة الاوطان قوم صادقون
 دون تهذيب رجال قد شقوا يملأون اليوم ساحات السجون
 والدوهم سببوا ذاك الشقا وهم لاهون عنه غافلون
 ومنها

امة تطالب منكم واجباً فيه قوموا وانتم ساهرون
 احسنوا تهذيب ابناءكم علموهم تجتنبوا ما تفرسون

﴿ تمت ﴾



القسم الثاني



القسم الثاني

وهو ترجحات الاحياء خلد الله اثارهم واطال اعمارهم

٤١ الأستاذ مخائيل الصقّال

شاعرٌ طویل النفس صحيح السبک ، حسن الوثی متین الحبک ،
ومالمٌ من خواصّ اهل الادب ، ومن افراد ذی الفضل والطلب ، شديد
التنقيب في اصول اللغة وشواردها ، كثير التدقيق في تمديد الافعال ومواردها
نقي الصحيفة ، بصير بالنكتة الظريفة .

وهو ابن انطون الصقّال العالم الشاعر السابق الذكر ، ولد في مالطة يوم
كان ابوه نازلاً فيها ، ثم عاد معه الى حلب طفلاً وقم بها .

ربعة القوام ، مسمور الجسم ، متين المصب ، ابيض اللون ، واسع الجبهة
اسود العينين ، صغير المحية ، مخروط الوجه ، مليح الجملة ، عصبي المزاج قد عمه
ثلج الشيب ، تقرأ على حياه سيما سلامة الصدر ، عزيز النفس ، كريم العهد
حسن الوفاء ، طيب الصحبة ، امين المغيب ، مهذب الطرف والنطق ، حسن
التعبير عن مراده باوجز لفظ .

اخذ العلم عن ابيه وهو كثير البرية ، ونظم الشعر في السادسة عشرة
من عمره ، وهو يتكلم ويكتب بالتركية .

اشتغل حيناً من الزمن بفن الحمامة امام المحاكم بحلب ، ثم عاد الى
الاشتغال بالادب ، ونزل مصر سنة ١٨٩٧ ونشر فيها مجلة الاجيال المصورة
وكانت اول مجلة مصورة ظهرت في العربية ثم رجع الى حلب والّف كتابه

لطائف السحر ، في سكان الزهرة والقمر ، فحافيه منحى الروايات التخيلية
وضمته كثيراً من الفوائد الادبية والعادات الوطنية ، ثم عاد الى مصر
 واجتمعنا به كثيراً سنة ١٩٠٧ وقفل الى الوطن ، وآلف رسالة شعرية في
وصف بعض الخطوب الشهيرة سماها العبر وهي قصيدة تزيد على خمسمائة
بيت متينة السبك ، عامرة الابيات طبعتم بحلب ، وله ديوان شعر كبير
مرتّب القوافي على احرف الهجاء مبدّئ من مذهب كل التهذيب ينوي طبعه ،
وله كتاب تأريخ كبير كسرّه على قسمين دعا الاول طرائف النديم في
تأريخ حب القديم وهو ما عُرف عنها قبل التأريخ المسيحي ، وسمّى الثاني
لطائف الحديث في تأريخ حب الحديث وهو من ابتداء التأريخ المسيحي الى
اليوم وهذا الثاني قارب التمام وهو يشتغل به اليوم بما اعتاده حياته كلها من
الجدّ والمهنة ، ونرجو له التوفيق بطبعه في القريب العاجل .

وهو من اخلاص خلّا لنا ، واخصّ خلاصتنا ، ولما معه عشرة قديمة ،
ومودة صميحة ، وهو الصديق لا يُذمّ عهدُه ، ولا يُتهم ودّه ، ما تذكرنا
معاهد الفضل وليالي الانس ، لا وكان ذكره قرّة العين وسرور النفس ،
متعنا الله بدوام عافيته ، وطويل صحبته

وهو لم يزل منذ اربعين سنة عضواً من قبل القنصلية الانكليزية في
المحكمة التجارية التي تُعقد لرؤية الدعاوي الاجنبية ، وقد انتخب منذ
قريب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق بكل جدارة .

واليك شيئاً من محاسن نظمته :

حبّ النسيم على الرياض أصيلاً	حيث الحبيب فبات منه عليلاً
فاعتلّ واعتذر النسيم تلمظاً	وغدوت متبول الفواد غميلاً

مولاي تفديك النفوس لانها
مولاي تفديك العيون بنظرة
فاهناً سلمت من الاذى وانعم وعش
ومنها

لا اتقي وقع الصوارم واقنا
اني احن الى الظلام مسامراً
ومنها

لما غدا مآء المحاسن سائلاً
اثلاً ابالغ ان اقل رضوان لم
وقال ارتجالاً في غانية اشعلت لعبة في يدها كمنقود من نور وجعلت تديرها
وخود مذ بدت تسمى ارتني
فقلت لها ألسن الشمس قالت
وقال ارتجالاً

فتنت محاسنها العباد فان بدت
خود كأن الله كوّن جسمها
وطالب اليها يومئذ تشطيرها على البديهة فقلنا

فتنت محاسنها العباد فان بدت
او انصتوا يوماً لسحر حديثها
خود كأن الله كوّن جسمها
ولو أنّه من معدن لبدا لها
وقال في الشيب

لم تلق مثلك في الحسان جميلاً
لو انها وجدت اليك سبيلاً
جذلاً تطيب لك الحياة جزيلاً

واخاف طرفاً ان رفوت كحبيلاً
ليلاً يحاكي الشعر منك طويلاً

في خدك الوردي كان اسيراً
يبصر لحسنك في الجنان مثيلاً

غصين البان يشرق منه نور
ألم ترها على كفي تدور

غفلوا عن الناقوس والقداس
من معدن الياقوت والالماس

سجدوا له بكل قدّها الميأس
غفلوا عن الناقوس والقداس
من جوهر اللطاف والايناس
من معدن الياقوت والالماس

يا صباي الذي مضى يا صبايا
بت من حرقتي انا ديك مهلاً
كنت لي ان اتيت ذنباً شفيماً
كنت مني الهدى اذا النفس ضلت
ومنها

ومهاة تبسمت لي وقالت
فرايت الاعراض اولى والّا
واجبت الشباب أعرض عني
واتركيني خلو الفؤاد فقالت
انا اهوك شاعراً واديباً
فاقتسمنا الغرام لا اقمي
وقال

لولا مخافة قولهم
لقتات نفسي عامداً

وقال

قال امروء اترشي
هل افعلن في السر ما
فقلت لا ولم ولن
اخجل منه في العلن

ومن فرائده

شكا الي صروف الدهر ظبي نقا
بكي فتزل دراً من مدامه
وبهذا القدر من احسانه دلالة .
يريك في طرفه السحار هاروتا
وصير الدر في خديه ياقوتا

٤٢ الشيخ كامل الغزي

احد معاصرينا الالباء ، واصحابنا الشعراء الادباء ، ومن نباهي بهم عند عدّة اصدفائنا العلماء ، وهو فرد من الافراد الجامعين بين الادب والظرف ، وبين خفة الروح وعذوبة المطلق واللفظ ، بصير بذهاب الكلام ، عليهم باسرار محاسن النظام ، حلو المعاشرة ، ظريف المحاضرة ، ذكيّ الشاعر ، سريع الخاطر ، يميل الى المزاح ، وتستريح الى كثرتة منه الارواح ، كما يستريح النديم الى كثرة الراح ، جوابه على رأس لسانه ، ونظمه على رأس القلم ببذاته ، لنا معه مجالس اذى هي من مواسم العمر ، واعراس الدهر .

وهو ابن الشيخ حسين الغزي السابق الترجمة ولد بحلب سنة ١٢٧٠ هجرية ونشأ بها واخذ العلم عن الشيخ محمد الكحيل والشيخ مصطفى الكردي وسواهما فنال حصة وافرة من علوم الفقه والحديث والمنطق والعربية والشعر ونظم وهو فتي .

واستصحبه محمد رشدي باشا الشرواني الى مكة المشرفة سنة ١٢٧٨ وكان على صغر سنه حينئذ ، بادي النجابة وافر الادب ، وظل بها ثمانية اشهر ولما توفي الوزير المذكور عاد الى حلب .

ثم تقلّب في المناصب فانتخب لرئاسة الكتّاب في المحكمة الشرعية بحلب مرتين ، وُسّمى مديراً لمكتب الصنائع وهو اول مونس له ، ورئيساً لمجلس بنك الزراعة ، ورئيساً لغرفة التجارة ، وعضواً في المجلس البلدي ولم يزل فيه الى اليوم متممنا الله بطول عمره .

وهو ربعة الى القصر ، نحيف الجسم ، ظمآن المفاصل ، حنطي اللون الى البياض ، صغير العينين اسودهما ، كبير الاذنين ، واسع الجبهة ، انفي ،

رقيق الشفتين ، معتدل الفم ، صغير اللحية خفيفها ، مليح الصوت ، قد عمه بياض المشيب له همة الشبان وحكمة الشيوخ .

وله من المؤلفات - وأكثرها لم يزل بخطه - الروضة الفناء ، في حقوق النساء ، على الحجاب والطلاق وتمدد الزوجات ، وجلاء الظلمة ، في حقوق أهل الذمة ، وعرب عن التركية كتاب اتحاف الاخلاف في احكام الاوقاف وله ديوان شعر كبير ، وتأريخ حلب في اربعة مجلدات يشتمل على حوادث حلب منذ دخول الاسلام اليها الى يومنا هذا ويتضمن تراجم علماءها وادبائها وشعرائها ومن ورد لها وسكنها مدة من الفضلاء ، وقد نجز طبع المجلد الثالث منه ، ولا ندري لماذا بدأ الثالث ، وندعو له بإتمام طبعه كله .

واليك شيئاً من قلاند شعره ، قال من ارجوزة في اداب المخالفة تربو على مئة وعشرين بيتاً وجعلها تحفة لطفاء المولود من سنتين اقر الله به عينيه قال بعد التحميدة

حققت لي بعد القنوط المرتجى	ما خاب ذو رجو عليك يعول
فمنحتني كرماً غلاماً وجهه	اضحى به وجه المسرة يقبل
ومنها	

أُبنى انت وديعة الله الذي	هو بالودائع خير من يتكفل
ابصرت نجمك في الديار وانني	لاخال شمسي عن قليل تأفل
ومنها	

ودع الفضول ولا تلج في مدخل	ما أن به لحظوظ نفسك مدخل
ولفرك أرض ما لنفسك ترتضي	هذا هو الشرع الاثم الاكمل
حسن ظنونك بالانام تأدباً	وكن امرواً عن كيدهم لا يغفل

ودع الفضول من الكلام كقولهم
هذي عكا كيز' اللكونة فابتمد
وقال

ما صد طيف خيالها اوزارا
نال الغرام من الفواد منالهُ
مستعذب عندي العذاب بها وان
ومنها

دارت ذراعي فوق دارة خصرها
هاج الحياء بخدها فاعاده
وقال ارتجالاً وقد اقترح عليه المعنى

كان البدر لاح لناظريه
جبين' مليحة بالحسن زاهر
ومن زهرية

نبه عيونك للنسيم الساري
هتك الربيع من الربى اسرارها
ومن أخرى

جعلت بحقة ثرها التسنيا
وجلث من الحلي العجوم وارسلت
وكتب اليها ملغراً في برق

يا شمس فضل يا بديع الذات
يا من اذا ذو الفهم اظلم فكره
يا من بكل فضيلة هوأت
حل المويص اذا حذي الظلمات

يا واحد الدنيا وزينة أهلها
 أوضح لنا شيئاً يكون اذا بدا
 سكن السماء وقد غدا ثلثاه تم
 هو للعدو اذا بدا تصحيفه
 مقلوبه يرجوه من محبوبه
 اولاه غب الربتين كنصفه
 واذا حذفت اثنين اجزائه
 واذا طرحت النصف منه وجدته
 واذا ابنت القاف ثم قلبته
 هو شطر اسم مسند تركيبه
 واذا ابيت سوى البيان فهاكه
 مع انه في الاربعين وحقكم
 لازال في قلب تملك حبكم
 وقال مشبهاً

كان خيال بدر التّم يبدو
 كرات من لجين ساطعات
 وقال في مؤذن قبيح الصوت
 اقول لعمرور حين صاح مؤذناً
 بصوتك آذيت الانام فقل لنا
 بصوت حمار ضيق منه حماتا
 أردت اذاناً أم أردت اذاناً
 ومحاسنه كثيرة وطرائفه وفيرة وهذه اللمحة منها شاهد ناصع .

٤٣ عبد الحميد افندي الجابري

هو ابن شاعر وشقيق شاعر ، وقد فاتهما وكم سبق المتقدمين آخر ،
وهو اديب نبیه ، وشاعر واضح المنهج ورفقیه ، 'مرهف الذهن سریع الفهم' ،
بصیر باستنباط الاداة فی وجه الخصم ، من بیت مجرد بالوجهة معروف ،
وبالفضل والادب موسوف .

حلو العشرة ، لطیف المحاضرة ، حسن المصاحبة ، متطامن الجانب ، يهتز
للنادرة الظریفة ، وهو ابن صدیق افندي الجابري السابق الترجمة .
تام الطول ، مخروط الوجه ، ابيض اللون ، اسود العينين صغيرهما ، رقيق
البدن ، معتدل الانف والفم ، عصبي المزاج ، قدعه الشيب .
عین عضواً فی محكمة الحقوق ، وانتخب عضواً للمؤتمر السوري ،
ورشح للافتاء بحلب ، وانتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي فی
الشام .

وله من المؤلفات كتاب ارتباط التمدن بدين الاسلام مطبوع ، وشرح
كتاب المرأة الجديدة لقاسم امين ، ورسالة فی اباحة اكل اللحوم ، ورسالة
المقصود من الدين ، ورسالة البيان فی النحو ، وديوان شعر ، وجميع ذلك لم
يزل غير مطبوع .

قال واجاد

أحتی الان تمروك الشجون	وتشجيك المباسم والعيون
ألا ينهی نهایك عن التصابي	وتعلم ان من يصبو يهون
نعم لي قلب ذي شجن الوف	على حب الهوى انی يكون
تسير به العصابة حيث شأت	وفيه اكل طارقة سكون

ومنها

اهيم بكل حسن قد تبدى
فان لم تفضل الشعرآ معنى
ومهما جاذبت لبتي فنون
وحسن الخلق اسمى كل حسن

وللحسن المظاهر والشؤون
فسر الحسن بعد هو المصون
جمال له الى الاسمى ركون
وحب الفضل اشرف ما يكون

وقال

تشوق من يهوى فحن الى القرب
دعوه يفيض الدمع فالعين عينه

وكيف حنين المستهام الى الحب
ولا تعذله فالبكا راحة القلب

ومنها

يرى الصبح اني حاضر عند عذلم
غريب وحيد في مرابع اهل

رايت الذي ما كنت احسب بعضه
لخبي من الايام معتبة حسبي

وقال

الحسن يعشق في المعاني والصور
والفضل جذاب القلوب لجه

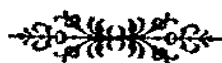
ان هام غيري بالقدود وبالنهو
ما همت الا في مكارم من لهم

فهنالك يجدرني التواجد اذ ارى
لسني اقول لغير من حاز السيا

حظ البصيرة ذا وذا حظ البصر
ان كان حسن الوجه جذاب النظر

د وبالشفور وبالشعور وبالطرر
هم تشيد في المعالي ما اندثر

من لام غيري في المعبة لي عذر
دة سادتي فالكذب من احدي الكبر



٤٤٤ الخور فسقفوس جرجس شلحت

اديب ولوع بالعلوم ، قد ضرب في سهمي المنشور والمنظوم ، وهو من العلماء المعققين ، وجهابذة اهل النظر الراسخين ، وقد عرفناه فلم نذمم معرفته ، وعاشرفناه دهرآ فحمدنا صحبته والفته ، مهذب العبارة ، حسن الاشارة ، فصيح اللسان ، فسيح البيان ، غزير المادة ، واسع الحفظ ، جميل الخط ، صادق العهد ، جميل الود ، مأمون المغيب ، رقيق الحاشية ، مليح النكتة ، فكه الاخلاق ، سريع الفهم ، متلهب الذكاء .

معتدل القامة الى الطول ، ممتلئ الجسم الى السمن ، قوي البنية ، وضاح المعيا ، صبيح الوجه ، اسود العينين واسمهما ، معتدل الانف والفم ، اسود الشعر قد وخطه الشيب قليلاً .

تلقى علومه في مدرسة الرهبان الفرنسيين سكان بحلب ثم اكمل دروسه في مدرسة عينطورا بلبنان وقرأ العربية والسريانية في مدرسة الشرفة بلبنان ايضاً ، وهو يتكلم ويكتب جيداً بالفرنسية والاطليانية ، ولما رجع الى حلب خصته عمه الطيب الذكر البطريك جرجس شلحت بكتابه اسراره ثم سيم كاهناً ثم رقي الى رتبة الخور فسقفوس ، وكان يعلم في مدرسة طائفته السريانية بحلب ، ثم انشأ مدرسة سماها مدرسة الترقى للذكور وجعل منها قسماً للبنات ، وكان يلقى فيها بعض الدروس ، ثم نشر مجلة الورقاء صدر منها ستة اجزاء اكثرها مدبج بقلمه ، ثم قصد مصر في اول الحرب الطامة ، ولبت بها الى سنة ٩٢١ ثم عاد الى الوطن ، وانتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الشام .

ولله من الآثار كتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين ، وارجوزة
عنوانها الكون والمعبد ، ورسالة عنوانها الطراز المعلم ، في مديح مريم ،
والنخبة تغريب من امثال فنلون شعراً ، والشكوى او محاوره حكيم ،
ومناجاة الارواح ، وكلها مطبوع وجاهها بالشعر ، وله مقالات في الضياء
والمشرق .

وقد عاد الى مصر قبيل كتابة هذه السطور ، واليك شيئاً من نظامه .

يا ليتني عدتُ صغيراً ركباً	دراجةً بين هتاف وجلب
الاعبُ الاحداث في مسيرهم	ومهمهم امشي الهوينا والحب
ومهمهم اركض ركضاً تابلاً	هواهم وهو مدعاة الطرب
والهم انني عن جناني بينهم	وعن فؤادي بهم اجلوا الكرب

وقال من مقصورة سماها الفلك النوحية :

ما بال اهل الارض اصبح همهم	في حشد ما امسى لهم عنه غنى
شبانهم يتبعون ويسرفو	ن وكل شيء عاينوه مشتغى
وزجالهم لا تعني بسوى الغنى	وسوى الركوب من العلى فوق المطا
يسعون في جمع الثرا دون اعتنا	بجلاله وحرامه فحما سوى
القابهم تحكي شعور اطارة	وضمت لفودي اصلع وضع الهنا
علم آؤهم علم الطبيعة دأبهم	وكهولهم حوز التصدر للفضا
فن المعادن والنباتات الغنى	ومن المناصب والقضا جاء الفتى

وكتب اليها عند قرآته موشعنا ميلاد الربيع في مجلة الضياء .

ألا إن شرع الشعر تجسيم ارواح	وتشيل وجدان وتجريد اشباح
وايداع ميزان فواصل حكمة	اذا دجت الاذهان لاح كصباح

ووصف معاني الحسن في كل مظهر	به دره اتراح و نشأة افراح
وتضویر ما في كوننا من مشاهد	بمنطق سفاّح ونغمة صدّاح
فذاكم هو الشعر البديع وذلکم	موشح موري زندِ مجدِ وقدّاح
هو السید الحمصي ذو النبل من له	من العالم العلوي فتح کفتاح
وذاکم ثنائي کالربيع واذنه	ليغني صحابي عن زيادة ابضاح



٤٥ السيد مسعود الكواكبي

فاضل متضلع من فنون الادب ، وله معرفة تامة باخبار العرب ، وقور
نفس ، نقي العرض والطرس ، وهو من بيت له في الشرف والعلم جاه
ريض ، ولم تكن نعلم انه ممن ركب بحور القريض ، على معرفة به عهدا
ميد ، ومودة بيننا ميثاقها وكيد ، حتى اطلعنا له في هذه الايام ، على
بيات بخطه انيقة النظام ، قال طال بقاؤه

يدون من نظيمي وخطي قصيدة تجبر بعدي عن حياة قد انقضت
هانذا حي ومالي خطورة فما اثرى من بعد عيني اذا مضت

وقال

ان غرا غرا ان خلقي هيّن
سفوت كماء المزن فالعذر بين
وشاهد بي ما ليس يعدو حقيقة
لمن رام شربي او رأى في صورته

وقال ولعله يعرض

صحت فما اثرت في ذي تمنّت
ان الصواب المحض باذ وظاهر
له اذن صحت عن النصيح والزجر
يراه ذوو حجره وابن ذوو الحجر
ما ناعمي مشبي الى وجهة الهدى
اذا كنت في فلك الى عكسها يجري
تقلد في اول شبابه الكتابة في محكمة التجارة بحلب ، ثم عين فيها
رئيس الكتاب ، ثم انتخب عضواً لمجلس المبعوثان العثماني نائباً عن حلب ،
ثم عين نقيب الاشراف فعاد اليها ، ثم رشح للافتاء ، ثم تقلد امانة
لكتابة لرئيس الاتحاد السوري ، ثم عين عضواً في محكمة التمييز بالشام
لي اليوم ، وكان في مناصبه كلها مثال الاستقامة ، ناصح الجيب ، قد طوى

باطنه على مثل ظاهره ، وهو عارف بالتركية جيداً وكاتب بها ، وله وقوف تام على القوانين التركية والكتب الشرعية ، سريع اليد في الكتابة واذا رُقن كتبه كانت سطورها سبائك الفضة ، وهو مولع بالاتقان ، وقد انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي .

رَبْعَةُ نَحِيفَ الْبَدَنِ ، عَصَبِي الْمَزَاجِ ، اسْوَدَ الْعَيْنَيْنِ ، مَلِيحَ الْأَنْفِ وَالْفَمِ ، رَقِيقَ الشَّفَتَيْنِ ، حَنْطِيَّ الْمَوْنِ ، مَخْرُوطَ الْوَجْهِ ، قَدْ تَقَشَّعَ فِيهِ الشَّيْبُ ، وَهُوَ شَقِيقُ الْمَرْحُومِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُورَاكِيِّ الشَّهِيرِ صَاحِبِ كِتَابِي طِبَائِعِ الْإِسْتِجْدَادِ وَامِ الْقُرَى .



٤٦ انخور فسقفوس جرجس منش

فاضل له من العلم قسط معروف ، ومن فن التاريخ سهم موصوف ، واسع الاطلاع ، كثير التنقيب ، جيد الحفظ ، جميل الرقعة ، منحق الخط ، ولنا به معرفة قديمة ، وبيننا صحبة عهدوها غير ذميمة .

معتدل القامة ، ممتلي الجسم ، قوي البنية ، جهير الصوت ، ابيض اللون ، مستدير الوجه ، اسود العينين ، معتدل الانف والفم ، كبير الرأس والمنكبين ، كبير الاحية ، وقد تعجلاه الشيب فمعه ، حديد المزاج ، قليل المزاح ، نقي الصدر ، محب للمباحث التاريخية ، ولا سيما ما له علاقة بطائفة المارونية .

تلقى دروسه العربية والسريانية في مدرسة مار عبدابهر هريا ، ثم سيم كاهناً وماد الى حلب ثم رقي الى رتبة خور فسقفوس .

وله من الاثار ، المستطرفات في حياة جرمانوس فرحات ، والتحفة الادبية في بجامع الموارد ، والطرفة الشهية في الرهبانية الفرنسية ، وتقويم المطبعة المارونية ، ومقالة في اثار حلب نشرت في مجلة الاثار ، ورسالة في رحلة الى جرابلس طاصحة الحثيين ، والحق القانوني عند الموارنة وهو تحت الطبع ، ومقالات في مجلات المشرق وكوكب البرية ، والزهور ورسالة السلام وقد انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي ، وقرض الشعر قليلاً .

قال يهني المطران يوحنا مراد بعوده من سفر .

بعودك صاغوا التهنيات وحبروا	الايتها الحبر المعز شانه
وحتى رأيت الارض تطوى وتنشر	مملت الثوى حتى طربت الى النوى
بحط السهي حيث الغلاء مصدر	فسرت الى مجد الى سودد الي

الى رومة واستانة وفرنسة بلاد على كل القواعد تفخر
ومنها

بعودك اضحت بمليك حفيّة تصفق من فرط السرور وتطفر
فلا اوحش الرحمان منك معاهداً على مرّ ايام بانسك تعمّر
وقال يعزّي

حباك الله يا الياس لطفاً على انطون بالاجر الجزيل
فن احسانه كافاه خيراً فما احراك بالصبر الجميل

وقال تارينا ليطرّز على قطيفة سنة ١٩٠٢

اخت العفاف كميلة قد شمت منك تلطفا
بالعيد اذ ارحّخت يدي تهديك تذكّار الوفا



٤٧ باسيل الفرّاء

هو شاعر لو انصرف الى الادب والنظم ، لفاز منهما بالسهم الوافي الا يتم
 وتستجد مما ننشره له ادناه ، مصداقاً لما ذكرناه ، غير ان صناعة الشعر وان
 كانت اشرف الصناعات ، فليست باروج البضاعات ، ولا هي بالتجارة الراجعة ،
 وليست بالامنية السانحة ، فانصرف عنها المترجم عليه الى سواها ، وان كان
 في قلبه ما فيه من هواها .

هو باسيل بن فتح الله الفرّاء . ولد بحلب ونشأ بها ، وتلقى علومه في العربية
 والفرنسوية والاطليانية في مدرسة الرهبان الفرنسيين بحلب ، فنال منها
 ولاسيما الفرنسية حظاً كافياً ، ولما خرج من المدرسة تخذ وظيفة في محل تجاري
 وكان يقرأ ليلاً بعض علوم العربية مع غيره من الفتىان ، على المرحوم القس
 توما ايوب وكان من الاساتذة المشار اليهم بالبنان .

ثم دخل المصرف السلطاني العثماني وعيّن معاوناً لامين الصندوق ثم اميناً
 للصندوق في حلب ، ثم عين منذسنتين او اكثر مديراً لشعبة المصرف المذكور
 في مرسين وهو فيها هناك الى اليوم بهذه الوظيفة .

وهو معتدل القامة الى الطول ، نحيف البنية ، دقيق الشبح ، مسنون
 الوجه ، ابيض اللون ، اسود الشعر واسع العينين اسودها ، رقيق الشفتين
 معتدل الانف والجبهة ، مهذب النطق ، جيّد التعبير ، مليح الاسلوب ،
 رقيق الشائل سريع الفهم ، ذكي الفؤاد .

قال من قصيدة

عن ثغرها لا تسألن ففيلب الصب حار

فيه لالى. سابجا
ت في غدِير من عقار
وكذلك فيه عقيقتا
نر تداومان. الافتراض
يحكي شذاه المسك او
عرف الخزامى والبهار
ومنها

يا بدر قل هل فيك من
شبهه الى ذات السوار
ان كنت ترعم ان نو
رك فيه مدعاة الفخار
فالفرق بينكما يرى
كالشمس رائحة النهار
نور الملية ملكها
لكن نودك مستعار

وقال يرثي ازهر نجل صديقنا العالم الاستاذ ميخائيل الصقال وكان

فتى نجيباً

يا موت ويحك قد قصمت الاظهورا
واذبت حبات القلوب تحمرا
افنيت ما بالعين من ماء لذا
سالت مداومها نجيماً احرا
ومنها

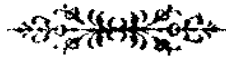
قد مات ازهر يا لها من زكبة
كادت لها الاحشاء ان تنفطرا
ومنها

حيث الحصافة والرزانة والحجى
حيث الكمال على الجمال قد انبرى
حيث الطهارة فاح طيب عبيرها
حتى تحال النعش مسكاً اذفرا
ومنها

صبراً أميخائيل في حكم القضا
فالمرء في دنياه ليس مخيراً
ان الذي ابكاك مر فراقه
لتي السعادة والجزآ. الاكبرا
تذكاره في الارض ينفج عنبراً
والروح في الجنات تسقى الكوثرأ

وقال في موسيقية بارعة :

وَأزِيلِي عَنْ مَهْجَتِي صَدَا الْغَمِّ	رَدَدِي اللَّحْنَ رَحْمَةً بِالْمَتِّيمِ
نَزَلَ الْيَأْسُ فِي خَبَاهَا وَخَيْمِ	وَابْعَثِي الرِّاحَ لِلْفَوَادِ فَرُوحِي
طَفَتْ بِاللَّحْسِ وَالْإِشَارَةِ ابْكِي	وَالْمَسِيَّ الْعَاجِ بِالْبَنَانِ فَكَمْ أَذْ
مُعْجَزَاتٍ لَهَا الْلِسَانُ تَلْعَثُ	إِذَا لَدَيْ لِمْسِكَ الْجُمَادِ رَأَيْنَا
وَعَدَا الْعَاجُ نَاطِقًا يَتَكَلَّمُ	كَانَ حَاجًا فَاهْتَرَّ بَعْدَ انِّينِ
أَنَا أَدْرِي بِمَا حَوَاهُ وَاعْلَمِ	أَنَّ عَزْفًا سَمِعْتُ مِنْكَ لِعَزْفٍ
وَلِكُلِّ مَنْ الْجَرَاحَاتُ بِلِسَمِ	هُوَ لِلْعَبِّ بِالْفَنُونِ نَعِيمٌ
مِثْلَ بَرَجِ أَرْكَانِهِ تَتَهَدَّمُ	لَفَتِي ذَابَ مِنْ جَوَاهِ قَامِسِي
أَعْذَرُوهُ فَرُوحُهُ تَتَأَلَّمُ	وَإِذَا قِيلَ مَا بِهِ فَأَجِيبِي



٤٨ الشيخ ابراهيم الكبيسي

عر سمح القريحة ، ذو نكات ظريفة وقواف مليحة ، مطبوع على
النظم ، قد خاض من بحاره العذب واليم ، ثم قاطعه منذ مقاطعة الشباب ،
واحتلال مكانه الثقيل من الاصحاب .

هو ابن السيد صالح ابن السيد سعيد ابن السيد احمد ابى الخير الكبيسي
الرفاعي من بيت علم مشهور ، وفضل مذكور ، ولد بحلب ونشأ بها واستفاد
كثيراً من تروده على مجلس الامام العلامة المأسوف عليه قاضي النضاة
الشيخ بشير الغزي .

وهو فصيح الالفة ، حسن البيان ، متطامن النفس ، سلس القياد ،
خفيف الروح ، حلو العشرة ، كثير الزاح .

ربعة القوام ، ابيض اللون ، اسود العينين والشعر ، متناسب الاعضاء ،
حسن الملامح .

واليك شيئاً من شعره :

ولقد يعلاني الحبيب بموعده منه واعلم انه لا يصدق
ما حيلتي انا غارق في حبه ان الغريق بكل جبل يعلق
وقال من خربة واحسن

مدت اباريقي لها اعناقها شوقاً كفعل العاشق الملتاح
طار الى استقبالها بطاقتنا وقلوبنا طارت بغير جناح
واصطفت الاكواب مائلة وقد قامت على اقدامها اقداحي
وسعت على ايدي الندامى بعدما اشباحها كانت بلا ارواح

برقت اسارى الزجاج واغربت
كانت اذا استنطقتها خرساً وها
وقال
بالسكب قهقهة من الافراح
هي ان دعوت تجبك بالافصاح

لقد يز ثوب الصبر مني اذعزاً
بديع جمال لو تبدى لمشرك
ومنها
مليح يهز التيه قامتة هزاً
بآية حسن منه ما عبد المزى

لقد دق منه الخصر عن درك ناظري
اذا ما نضا يوماً سيوف لحاظه
ومنها
لعمري حتى رحت احسبه لغزاً
فيا وريح اكباد باسيافها تغزاً

يصد فيغريني به رمز لحظه
وكانت قناتي لا تلين لغامز
وقال مخمساً لامية الممرى
فها انا اذا اقضي ولا افهم الرمزاً
فقد صرت من الحاظه اعشق الغمزاً

بغير مقام الفضل لست افاضل
اقول وقول الحق ما انا قائل
وعن غير ابكار العلى لا افاضل
الا في سبيل المجد ما انا فاعل
عفاف واقدام وحزم ونائل

ومنها
وقد زادني زهداً بميشي فاجر
اقول وقولي في البرية سائر
يطاول ارباب العلى وهو قاصر
اذا وصف الطائي بالبخل مادر
وعير قساً بالفهاة باقل

ومنها
ودامت على الادبار للدهر شيمة
ولم تبد للاقبال يا سعد سيحة

ولم تسمُ يوماً للمعارف قيمةً فيا موتُ زراً انّ الحياة ذميعةُ
ويا نفسِ جدّي ان دهرك هازلُ

ومنها واحسن .

كانّ ذكاء الافق ادعى سطوعها لنحسي فلا يرجى لعبي طلوعها
كانّ نجوم الليل معي ضليعها كان الثريا والصباح يروعها
اخو سقطة او ظالع متعاملُ



٤٩ انخوري قسطنطين انخضري النائب الاسقفي على حلب

ولد بحلب سنة ١٨٥٧ مسيحية

احد افراد الاذكياء ، وليب من فوايح الالباء ، راجح حصة العقل ، سهل الجانب متوفر الفضل ، خطيب رطب اللسان ، حسن البيان ، صادق الجنان ، اذا ارتقى فوق المنبر ، قيل كأنما هو الذي حكى عنه الحريري واخبر ، « فهو يطبع الاسجاع يحواهر لفظه ، ويقرع الاسماع بزواج وعظه » ، وله نظر يخترق حجب الضمائر ، ويكاد يقرأ مكنونات الخواطر ، والمعية ناطقة ، وفراصة صادقة ، مطالع على طائفة من العلوم العربية ، وله المام بكثير من المعارف العصرية ، متبحر في علمي الجدال والكلام ، يحل عويصات المسائل حل امام ، مهذب العبارة ، حسن الرواية ، يميل الى النادرة والمزاج .

معتدل القامة الى الطول ، عصي المزاج ، نحيل الظل ، ابيض اللون ، متناسب التقطيع ، قدمته المشيب ، سليم الذوق ، جيد الحفظ ، عليم بمواقع اللفظ ، خير بنقد جيد وريثه ، يعبر عن ضميره باجلى العبارات ، صادق الود ، كريم المهد ، وهو اقدم اصحابنا ، واكرم احبابنا ، واطول الخلال لنا عشرة ، واوفرهم بنا خبرة ، واحفظهم لمشورتا والمنظوم ، ومن نباهم بفضل و صداقته بين العموم .

له اربع مجلدات من المواعظ ينوي طبعها ، وقرض الشعر قليلاً ، وكذا اطلعنا له على شئ منه ، فلما طالبناه به لنشبعه هنا أبي علينا ذلك ، منكر ان تكون له يد في الشعر ، وان الذي كان رواه لنا نظم قصد به تزين نفسه على القريض ايام شبابه ، ثم علم ان القرية الشعرية ليست من اصحابه ، على

اننا وقفنا له على الابيات الاتية نظمها منذ عهد قريب وفيها معنى حسن
ولعلمكم مبتكر قال اطال الله عمره.

فلم صرت تمشي اليوم والخطو كالطفلـ	يقولون لي قد كنت تسرع في الخطى
طريقي طويلاً يقتضي خفة الرجلـ	لقد صدقوا اذا انني كنت حاسباً
تبأطأت حتى بت أمشي على مهلـ	والكنني مذبذب لي قصير المدى



٥٠ ترجمته مؤلف الكتاب

هو قسطنطين بن يوسف بن بطرس بن يوسف بن ميخائيل بن بطرس بن يوسف بن ابراهيم بن سليم بن ميخائيل مسعد الحمصي الجسد الاعلى الذي قطن بحلب .

حدثت هجرة عن حمص في الربع الاول من القرن السادس عشر ، لاسباب طمستها ظلمات تاريخ ذلك القرن في هذه البلاد ، واعلمها منبعثة عن غارة الترك وافتتاحهم سورية ، فهجر حمصاً كثير من اهلها او باصر الفاتح السلطان سليم الاول ، وتفرقوا في سائر مدن سوريا ، وكان فيمن هجرها ميخائيل مسعد سنة ١٥١٧ فهابط الى حلب وقطن بها ، وقيل لاول اولاده سليم مسعد الحمصي نسبة الى مدينة حمص وطن ابيه ، ثم زالت الكنية على توالي الزمن وبقية النسبة .

وكانت من هذا البيت في دمشق اسرة انطون الحمصي وجدتها الاعلى ميخائيل بن سليم توطن الشام .

وكذلك أَسَرُ الحمصي في مرسيليا وباريز ولندن ، فهي من الاسرة الحلبية اذ هجر حلب اثنان منها ، هما الاخوان ميخائيل وجرجي سنة ١٨١٨ ونزلا مرسيليا واعقبا فيها .

هكذا ساق اصل هذا البيت الكاتب الاديب الفرنسي فاستون بن انطون بن ميخائيل بن يوسف الحمصي المولود والمقيم في مدينة مرسيليا ، في مشجر مطبوع ومؤلف آخر ، عن اصل اسرته وصعد بها الى الجسد الاعلى (بيير) دةلاماس الفرنسي المكنى بمسعد Pierre De la masse

احد نبلاء الصليبيين سكن حصاً واعقب فيها ، وقد يكون حل طرابلس
اولاً ثم توطن حصاً هو او احد اعقابه .

مولده

ولد المترجم عليه بحلب سنة ١٨٥٨ في الرابع من شهر شباط قبيل الفجر
وهو ثاني الذكور ورابع ولد لوالديه يوسف الحمصي وسوسان بنت عبد الله
بن جبرائيل بن يوسف بن متري بن جرجس بن يعقوب بن فياض بن يعقوب
بن ديمتري المدعو بمترك الدال ، والبيتان من اشهر بيوتات حلب .

وفقد والده وهو في الخامسة من سنه فربته والدته - وكانت من
فضليات النساء تحسن القراءة وتحب الشعر - مع اخوته الثلاثة واخواته
الاثنين في نعمة وافرة ، وتوفيت والدته في السنة ١٨٨٨ فأرخ وفاتها صديقه
الحميم الامام الشيخ ابراهيم اليازجي بالابيات الآتية :

من آل دلال كريمة معشر	ادمى النواظر بينها والاكبدا
وات وقد تركت لنا من بعدها	ذكراً جيلاً بالمراحم رددا
نزلت ثرى الحمصي يوسف بعلمها	فثوت بجانبه كما حكم الردى
فكتبت تاريخاً يسطر حولها	يا تربة السوسان باكرلك الندى

١٨٨٨

فتوته ودروسه

اتم في الحادية عشرة من عمره تعلم القراءة العربية ومبادئ الخط في
كتاب طائفة الروم الملكيين بحلب ثم انتقل منه الى مدرسة الاباء رهبان
مار فرنسيس ، ودرس فيها مبادئ اللغتين الفرنسية والاطليانية والنحو ،

لكنه لم يقيم بها سوى خمسة عشر شهراً كان فيها مثل الاجتهاد .

و اول شعر قاله هجاء به احد رفاقه في المدرسة المذكورة وذلك في الثالثة عشرة من سنه ، فشكاه المهجو الى رئيس المدرسة يومئذ الاب كودنسيو المعروف بالاب فرح ، فاستدعاه اليه وساله هل الشعر له ، فلم ينكر مع شدة خوفه من العقاب ، ولكن الرئيس المشار اليه كان يحب اللغة العربية ، صارفاً بنحوها وصرفها جيداً ، وعلى جانب عظيم من الحلم والدعة ، فوبخه باطف قائلاً ان الله قد منحك موهبة سامية فيجب عليك ان لا تصرفها في غير موضعها ، والمهجاء مذموم مكروه ، ولا سيما لاحد رفاقك في المدرسة .

فخرج من غرفة الرئيس وهو يكاد لا يصدق اذنيه بما سمعته ويقول في نفسه اذن انا حقيقة شاعر ، ولم يكن اطلع على شيء من علمي العروض والتصرف ، ولا درس الا الاجرومية وشيئاً من بحث المطالب ، فزادت رغبته في درس النحو والصرف ، وقال تلك السنة في الامتحان اول جائزة في العربية .

ولما ترك المدرسة المذكورة ، ولم يبلغ من اللغات الثلاث الا القليل او دون القليل ، اقام على دراسة الفرنسية والنحو بعض اشهر على قسيس كان يدرس في بيته بعض الفتيان ، ولم يستفد من ذلك كله غير القراءة والكتابة والتكلم بالفرنسية قليلاً .

ثم اكب على المطالعة بنفسه ولكن لا كما كان يريد ، لانه منذ السادسة عشرة عكف على الاعمال التجارية في محل ابيه وجده ، وكان باقياً على اسم جده واولاده بعنوان بطرس حمصي واولاده ، وممدوداً في رأس البيوت التجارية بحلب ، وكان يديره بعد وفاة والده ، رجل امين يُدعى الشماس

بطرس دوناطو، وهو من افراد البشر عفافاً وامانة، وتقشفاً وقناعة،
وصديقاً وسذاجة، الى فضائل ليس هذا موضع ذكرها .

وقد يكون المؤلف اشط عن الموضوع في ذكر هذا الرجل والمحل
التجاري، ولكن أنى له ان يتعرض لذكر فتوته في ترجمته، ويعرض عن
ذكر اسم المرابي الصالح والوالد الثاني والاستاذ، فقد عالج مسك الدفاتر
وحساب الزنجير، كما كان يسمى يومئذ، وهو المعروف بحساب الدوبيا، ولم
يكن يعرفه الا قليلون في سوريا، ولو لم يكن له عليه سوى هذا الفضل،
لكفى به حقاً يوجب على ذمته ذكره في كل يوم، والله درّ القائل

اقدّم استاذي على فضل والدي وان كان لي من والدي الفخر والشرف
فذاك مرابي الروح والروح جوهر وهذا مرابي الجسم والجسم من خزف
غير انه مع عكوفه على التجارة، لم يهمل المطالعة ولا سيما دراسة النحو
والصرف والفرنسوية، ثم درس ليلاً علم العروض على الطوري جرجس
دلالة، حتى شهد له بلوغه منه الغاية، وكان استاذ المذکور اماماً في النحو
والصرف والعروض كما سبق في ترجمته .

شبابه والرحلة الاولى الى اروبا

فشا الهواء الاصفى في حلب سنة ١٨٧٥ فرحل عنها المترجم عليه مع
اخويه وبمضى اقاربهم الى مدينة مرسيليا، وفيها بيوت عمّيه وغيرهم من آل
الحمصي الذين قطنوا بها منذ سنة ١٨١٨ كما سبق القول، فظل فيها سنة
استفاد بها سهولة التكلم بالفرنسوية، حتى كان يظنه الفرنسيون فرنسياً
يحتماً، واخذ نحو خمسين درساً في الفلسفة على استاذ يُسمى الاستاذ جاك،

وزار باريس ، ثم رجع الى بيته في حلب واقام بها سنة يتعاطى اعماله التجارية والصيرفة ، ولا يلهو عن الدرس والمطالعة في سائر ساعات فراغه .

الرحلة الثانية الى باريس

ولما أعلن افتتاح المعرض العام في باريس سنة ١٨٧٨ لج به داعي الشوق الى مشاهدة بدائعه وغرائبه فقصد مرسيليا ثانية واقام بها نحو شهرين ثم قصد جنة الدنيا باريس ، وظل بها شهرين تمتع بهما من زيارة المعرض نحو ثلاثين مرة ، وكان يصحبه في اكثرها خاله المأسوف عليه جبرائيل الدلال اذ كان يعرف باريس كعالم من ابنائها ، وقد استفاد المترجم عليه من شعة معارفه ودقة انتقاده ، وقد كان خاله المشار اليه واسطة التعارف بينه وبين العلامة الفاضل عبدالله المراس في باريس نفسها .

ثم رجع الى حلب يمارس فيها اعماله في التجارة والصيرفة ، وذلك بعد ان قضى سنة كاملة في فرنسا ، وبعد عودته تزوج ، وكان اشد عكوفاً على نظم الشعر والمطالعة في كتب العلوم ولا سيما في كتب اللغة لشغفه بها وميله اليها بسائق الطبع ، وفي كتب الانتقاد الفرنسية .

وزار بيروت سنة ١٨٨٢ واجتمع بعدد غفير من علماءها وكتّابها في رأسهم الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور كرنيليوس فاندريك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر واديب اسحق والشيخ اسكندر العازار وحسن افندي بيهم والشيخ يوسف الاسير وداود نحول وغيرهم من فضلاء مصر وكواكب بيروت ، واستمرت بينه وبين كثير منهم المراسلة والصدقة الى اليوم ، ومنذ يومئذ عقدت الصداقة

الخالصة بينه وبين علامة العصر الامام الشيخ ابراهيم اليازجي الطيب الذكر والاثر ، وامتدت حتى وفاة الامام لم يشبها يوماً كدره ، وكانت بينهما مدائح ورسائل استمرت نحو ربع قرن ، وقد نشر المترجم عليه اكثر رسائل الشيخ بعد وفاته في مجلة النفائس المصرية التي كانت تطبع في القدس .

وعقب عودته من بيروت بعث باول قصيدة الى صديقه الشيخ ابراهيم اليازجي سنة ١٨٨٣ ولا بد من نشر بعضها فانها من شعر الشباب ، ولا شيء اعز على المرء من تذكار الشباب وايامه ، ويقظاته واحلامه ، والصبي ومراتع ارامه ، قال

يا رسولي اذهباً فابلغها	انني اليوم قد سلوت هواها
جهلت قدر صبيها ثم جارت	واستطالت بحكمها وقضاها
طال منها البعاد فاعتل جسمي	ثم عالت ناظري ببقاها
زاد منها النفار لما التقينا	فتمنيت لو اطالت نواها
ومنها	

لم اطع لسلو حكماً ولكن	ساقني ظلمها ونقص وفاها
كنت عبداً لها ارى الذل عزاً	في خضوعي وطاعتي له لاهها
نجفتني وانني خير حر	من كرام بالبعد تحمي حماها
كم ليال قضيتها وأليم الـ	شهد قد ناب عن لذيد كراهها
ومنها	

ما اجتمعنا للعب الا وكان الـ	دل منها يزيد نفسي بلاها
ما عليها لو عآلتني بوصلـ	وشفت مهجتي برشف لاهها
واضياع الزمان في حب خود	احرقت قلب صبيها بقلاهها

ومنها

لن ترى عمرها محبةً نظيري
ولئن قلت قد سلوت هواها
قد سلوت النفار منها ولكن
فتنة العالمين جل الذي من
ومنها في التخلص الى المدح

حرت في عشقها كاحرت في وص
الامام الخطير ذو الفضل ابرا
واحد العصر ناصر العلم قامو
حاز بالعقل فضل شيخ جليل
ومنها

لم أرد مدح ما به من صفات
انما عتبه لقد كان قصدي
ومنها

ان بيروت روضة العلم لكن
ومنها

فلئن ضم شملنا الدهر يوماً
هاكها كاعباً بمدحك تاهت
والرضى مهرها فان جدت يابش
رى والا فيا لطول شقاها

فاجابه عليها بقصيدة طويلة ايضاً قال في مطلعها

عرجاً في ربوعها وسلاها
كيف تسلمو متيتاً ما سلاها

واعطفاها بوصف سقمي وما بي
واذكرا وديّ القديم ومالم
ربّ دمع اسلمته بعد هجره
وليال تضاحك الانس فيها
يعلم الله ما بقلبي وما تب
ومنها

والليالي عدوها كلّ حرّ
والعداوات كالموادت في النسا
ومنها

واذا الحلم جرّ حرب سقام
ومنها

وخصالُ الفتى تنمّ عليه
جلدةُ اللوم لا تحولُ وان أب
واخو الغدر لا يُصافي وما لا
والتجاربُ موبقاتٌ ولكن
وبنفسه وان غلت نفسُ حرّ
ذي ودادٍ كأنهُ الفضّةُ البية
وذمام كأنهُ الصخرةُ الصمّة
كامل الفضل في اقتبال شباب
اكسبته الأيام حلماً لو ارتد

مثل ريح عرفتُها من شذاها
رزّ من بزّة العلى ممصاها
ونم من ذمّة تُشدّ عراها
يستفيد الحكيم من عقباها
لست بالنفس خاسراً في قداها
ضآ زادت يدُ الزمان جلاها
آ لاقت من الخطوب مياها
هان فيه على الشيوخ نهاها
اليها لم نشك جهل قضاها

ومنها

مَنْ لشمس الضُّحى بنور هلال
تلك شرقٌ للشرق قد كثرته
من سماء الشهباء قد حياها
انجماً غالب النجوم سناها

ومنها

وسقى الله ارض حصٍ وحيت
هي فردوسي القديم ومنها
نفحات الرضى خصيب ثراها
نفحتني من سرها نفحة حية
ثمرات الحياة كان جناها
من حبيب تروي الصبا عن معانيه
ن سرّت هزّ غصن وجدي سراها
في فتحي نفوسنا رياها

ومنها

قد اطاعته شاردات القوافي
طال عهدي بها الى ان جفتها
راشداً فانطقت من عصاها
وختامها

والعداني حسبي والدهر فينا بدوات نقول رب عساها

وكانت للمترجم عليه ملازمة لحاله الشاعر الاديب جبرائيل الدلال المتقدم
الذكر وذلك بعد رجوعه الى حلب ، وقد جمع بينهما الادب ، بعد ما جمع
النسب ، وكانت لهما مجالس انتظمت عقودها بدرر الفضل ، واجتابت قرائح
فرسانها الوعر والسهل ، ثم ما ابث الدهر حتى عبس كعادته وتنكر ، وشتت
ذلك الشمل الجميع فاحزن وكدر .

الرحلة الثالثة الى فرنسا

ورد على المترجم عليه من مرسيليا نعي شقيقه العزيز اسكندر في آخر

صيف سنة ١٨٩٢ قضي في الثالثة والثلاثين من سنه ، فكبر عليه المصاب وعز الصبر ، وكان من اجل الناس وجهاً ، والطفهم اخلاقاً ، واحلامهم صوتاً وعشرة ، ذكياً نبيهاً . واذا كان اقيم وصياً شرعياً على اولاده القاصرين ، رحل الى مرسيليا لتصفية محله التجاري فيها ، وعقب وصوله اليها بايام ، وافاه نعي الخال الدلال ، فاعظم فيه الخطب ولا سيما ان الجرح بفقد الشقيق كان فوق ان يندمل ببعض شهور ، فكأنما كان للدهر عنده ديون اسلفها ، فارتد على عادته يتقاضى فيها ، حاسباً انه اسرف عنده فيها فرثاه بقصيدة في مرسيليا قال في مطلعها

ضاق الكلام فلم اجد لثأني غير الدموع تفيه حق ولا آني
ما كنت احسب عندما ودعته ان ذاك آخر موقف للقائي
يا كوكباً قد غاب عنا نوره فاطال ليل الحزن في شهباني
وهي مطبوعة في آخر ترجمته الاتي ذكرها .

ولما عاد الى حلب سنة ١٨٩٣ سعى في بناء سياج من الحجر على مدافن المسيحيين في هذه المدينة ، وكانت عرضة للهوان منذ القدم ، فاكتب هو اولاً بشي من المال ، ثم اتى به افراد أسرته وذوو قرباه وغيرهم من اهل المروءة ، ثم طاف على اهل السعة من النصارى لجمع قسماً باشر به العمل ، ولما لم يف المجموع بالحاجة ، طاف ثانية وثالثة الى ان اكمل العمل بمدة سنتين وبضعة اشهر ، ونقش فوق ابواب المدافن الابيات الاتية :

على الباب الاول

مثلكم فوق هذه الارض كنا امس واليوم قد طوتنا القبور
فاخفضوا الطرف ان نظرتم اليها فالى هاهنا تصوير الامور

وعلى الباب الثاني

خفت الوطء ان سررت علينا واخفض الطرف ان نظرت الينا
هكذا تنتهي حياة البرايا وسيجرون مثلما قد جرينا

وعلى الباب الثالث

قد سمينا ورآء مجد وفخره وبنينا منازلاً وقصورا
وتركنا جميع ذلك بحكم الآ واليوم قد سكننا القبورا

وعلى الباب الرابع

كل من فوق هذه الارض يقنى وسبق الاله رب الجلال
ليس للمرء بعد دنياه الآ ما اتاه من صالح الاعمال

والا تم السياج المذكور كما سبق القول ، رأى نفر من ذوي الفضل والوجاهة ان يهدوا الى المترجم عليه هدية ، تكون اثراً باقياً في بيته . لعرفانهم وتقديرهم خدمته هذه الوطنية ، فجمعوا من اكثر المكتتبين بسياج المدافن شيئاً من المال واجمعوا على صنع تمثال الالهة مينرفا (الهة الحكمة) من خالص الفضة ، وكتبوا الى صديق لهم في باريس ، ان يختار نقاشاً بارعاً يقوم بالعمل المطلوب ، على ان يكون في احدى يدي التمثال اكليلاً يمثل اكليلاً من الغار ، وفي الثانية قلم مذهب وان ينتصب التمثال على قاعدة من المرمر ، يُحفر في وجهها باحرف ذهبية ، البيتان الاتيان من نظم صديقه الحميم علامة العصر الشيخ ابراهيم اليازجي :

تذكاري شكر لقسطنطين نرفه لما اتى من جميل الصنع في حلب
لما تبدت لنا الفاظه درراً صفنا لها قلماً من خالص الذهب

وتحت القاعدة المذكورة لوحٌ من الصفر منقوش فيه الابيات التالية :

إِلَهَةُ الْحِكْمَةِ أَهَدَتْ إِلَى شَاعِرَاتِ الْفَرْدِ الْحَكِيمِ الْمُحَامِ
الشَّهْمِ قُسْطَنْطِينِ رَبِّ النَّهْيِ مِنْ آلِ حَصِيٍّ سَلِيلِ الْكِرَامِ
يَرَاعُ تَبَرَّ مَخْلُوداً حَمْدَهُ لَصْنَعِهِ الْمَأْثُورِ بَيْنِ الْأَنَامِ
يَبْقَى لَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي تَأْرِیْخُهُ طَابَ بِخَيْرِ الْخَتَامِ

١٨٩٦

ولما وصلهم التمثال المذكور ، ارادوا تقديمه الى المهدي اليه في حفلة يقومون بها ، فتوسل اليهم ان يقصروا ذلك على بعض خاص خلانهِ واهله ، وهكذا تم قبول الهدية ، بعد ان شكر للذين قاموا بها عنايتهم والطاقهم .

وفي سنة ١٨٩٦ انتخب عضواً لاجلاس ادارة ولاية حلب ، لكنه رأى ان يستعفى من العضوية المذكورة لوفرة اماله التجارية ، فلم يرض بذلك والي الولاية يومئذ ، وهو الوزير الكبير رائف باشا .

ثم اقام دعوى علي البنك (المصرف) العثماني السلطاني لاختلاف حسابي . فاستأنف المصرف الحكم الى القسطنطينية ، ورأى المترجم عليه ان يتتبع الدعوى بنفسه ، لما كان للمصرف المذكور من الفاذا والرعاية هنالك ، واذا علم بقصد بعض الوزراء والكبراء ، من ذوي الفضل الذين اقاموا يومئذ بحلب بأمر السلطان عبد الحميد مُبْعَدِينَ ، وكان بين المترجم عليه وبينهم صداقة احكم عقدها العلم والادب ، بعثوا اليه ببعض كتب لاصحابهم من الاكابر في القسطنطينية ، وبينها كتاب الى السيد ابي الهدي الصيادي نديم السلطان ومستشاره ، وعلم الاعلام في الدولة العثمانية وقتئذ ، وكان المترجم

عليه قد سبق له التعارف به يوم أبعد الى حلب باسم السلطان نفسه ، فردّ الكتاب لمسلّمه شاكرًا

الرحلة الى القسطنطينية

سار عن حلب في الخامس والعشرين من شهر اب سنة ١٨٩٨ وقصد الاسكندرونة ، ومنها ركب الباخرة الفرنسية الى القسطنطينية فظلت في طريقها سبعة ايام على عاداتها من الرسو في بيروت وغيرها من مدن الساحل ، ولما دخلت بحر الدردنيل هاج البحر فاجت السفينة واصاب الدوار اكثر المسافرين ، فقال مداعباً بعضهم

رقصت اذ جرت بنا الدردنيل انما كان رقصها (كدريلا)
سجد البعض صامتاً واناسٌ رتلوا ككفر غيظهم ترتيلا

ولما جازت السفينة الدردنيل وعبرت ممر صرا وبلغت الخليج وهو ميناء القسطنطينية ، وقف المترجم عليه اذ ذاك ، وقد راعه حسن منظر الخليج وما يكتنفه من جبال تسلقت عليها القصور الشاهقة فكأنها نبتت مع اشجارها ، وقد تسلسلت من اعاليها جداول المياه كذائب اللجين يتكسر على احجارها ، وخضرة رياضها ، كنضرة غياضها ، لا تقل الاعين من النظر الى محاسنها ، ولا تشبع النفس من التملية بما بينهما

ثم نزل وكان بعض الاصحاب في انتظاره على المرفأ ، فأحسنوا التسليم ورحبوا ، وكانوا استأجروا له غرفة في فندق مشهور ، فساروا جميعاً اليه ثم ودعوه وانصرفوا ، وبات تلك الليلة في اتم الراحة ، ولما نهض في الصباح رأى ان لا يتباطأ عن زيارة السيد ابي الهدى ، لانه كان يعلم ان اخبار

القادمين الى القسطنطينية من ابناء العرب ولا سيما من حلب ، كانت تصل اليه سريماً ، فاخذ عربةً وسار الى بشكطاش حيث جوسق السيد ، ولما بلغه دفع الى الحاجب بطاقة باسمه ليستأذن له في الدخول عليه ، وكان في غرفة الانتظار عدد كبير من الناس ينتظرون نوبة المقابلة ، وجلهم من ابناء العرب من شتى الامصار . فلم يبسطي الحاجب ان عاد ، قال بصوت عال شيخ افندي ينتظر كم ، فنهض المترجم عليه وسار وراء الحاجب الى بهور داخل بهور ، واذا وقعت عيننا السيد عليه ، قام للالتقى ، وهش للفدوم ، واجم الترحيب والتأهيل وذكر الاجتماع به قبل ذلك بسنين في حلب ، ثم اخذا باطراف الاحاديث ، وكان بيد المترجم عليه درج فيه قصيدة نظمها على ظهر السفينة واعدتها لهذا اليوم ، فقال له السيد ، ومكانه من النباهة والذكاء فوق الوصف ، وما تلك بيمينك يا موسى ، فاجابه أحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، فاستحسن جداً بداهة الجواب ، ثم انشد الناظم القصيدة الآتية :

زعموا لا تليق دعوى الصبابة	بعدما ودّع المحب شبابة
جهلوا من حقيقة العشق سرّاً	يُبطل الزعم لو اماطوا حجاباً
ذاك ان الهوى يؤثر في النفس	سـر بقدر العواطف الجذابة
والفتى الغرّ ليس يدرك منها	مثل من راضه الهوى فاشابة
كل معنى من المليحة يبدو	بمان لا عيني مستطابة
واذا غاب شخصها عن عياني	مثلتها الخواطر آفة ابنة

ومنها

ما لقاى اذا ذكرت هواها	يتصاى ويستلذ عذابه
أرجى عوداً لا يام انسـ	ام تراها تعلم كذابه

كلُّ حرٍّ يرى التجلّد الآ
يُحمي يا سفينة الخير خير ال
وانزلي يا جميع امالي البية
ومنها

ليس ألاك يا سحير الممالي
قد سلكننا بيلان والليل داج
وركبننا البحار سعياً لبحر
وهجرنا الشهباء نلتحمس الان
وبعهد الشريف بدر الهدى قد
سيدٌ يحسب الصنيعة ديناً
وختامها

حسبُ مستعصم بودك يامو لاي أن لا يرى العداة اكنشابة

ولما انتهى من انشاده ، تناول منه القصيدة واطال الشأ والشكر ، ثم
قال ومن الخصم ، فاجابه انه المصرف السلطاني العثماني ، فقال لا تقبال باحد
وكن منشرح الصدر ، ولا تكن زيارتكهم لماما ، فاطلق منه لسان الحمد ثم
انصرف من تلك الحضرة ، وظل يتردد اليها الحين بعد الحين ، ثم بشر بالانعام
عليه بالوسام العثماني الثالث مع لقب بك ، وظل في القسطنطينية ستة شهور
صالحه في ختامها المصرف المذكور ، على مال دفعه اليه ، وفي تلك المدة كتب
رسالة وصف بها القسطنطينية وسماها اربع الخليج ، وقد نشرت تباعاً في
مجلة الضياء لسنتها الاولى ، ثم فقل الى الوطن بعد ان ودّع السيد وشكر له
بيض اياديه وحسن ملتقاه ووداعه .

الرحلة الى القاهرة

ولم تنتهِ سنة ١٩٠٥ حتى كان ازمع على السفر الى مصر القاهرة وكانت له دعوى على كريدي ليونه المصرف المشهور في الاسكندرية ، فقصدها اولاً وبعد ان اقام محامياً عنه للمطالبة والمحاكمة ، ركب القطار الى مصر ، وكان ينتظره في محطة القطار ، صديقه الحميم والحبيب القديم حجة المغة الشيخ ابراهيم اليازجي مع جماعة من الاصحاب ، فطال التسليم والترحيب ثم انقلبوا الى فندق عدن ، اذ كان طلب اليهم ان يتخذوا له غرفة فيه ، وهناك كان لهم مجلس من مواسم العمر ، ثم ودعوه وانصرفوا على ان يزور المترجم عليه ثاني يوم صديقه الشيخ ، ولما توجه اليه وجد الطرق مستوحلة اذ هطل في الليل مطر غزير ، على ندوة المطر في مصر فقال بديهاً

قصداً الى مصر لشهرة دفتها فراراً من البرد المبرح في حلب
قامسيت والامطار ليس تفوتني واصبحت والاحال فيها الى الركب

وظل في مصر الى اول الصيف من سنة ١٩٠٦ وعرف فيها كثيرين من اعلامها وشعرائها وكتابها كاحمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار يومئذ وسليمان افندي البستاني وجرجي زيدان والشيخ علي يوسف وداود بك بركات واسكندر شاهين وادوارد مرقص والدكتور خليل سماده وشوقي بك وحافظ ابراهيم و خليل المطران وامام العبد ورفيق بك العظيم وغيرهم من بدور الفضل ، وقد وثقت المودة بينه وبين كثيرين منهم الى اليوم ، وفي خريف تلك السنة عاد اليها وياشر طبع كتابه منهل الورد وفي آخر السنة المذكورة ، أصيب بفقد الامام اليازجي صديقه القديم بل اوفى الاحباب والخلان ، فأبأنه على

ضريحه ، وفي غير محفل من المحافل التي قامت بتأبينه وتكريم ذكره في مصر والاسكندرية وطنطا ، وقد نذكر شيئاً منها في محله من آخر هذه الترجمة ، ثم انه اكمل طبع كتابه وعاد الى الوطن في صيف سنة ١٩٠٧

مدة الانقلاب العثماني

ولما حصل الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ ، كان المسيحي الوحيد الذي دُعي الى الاجتماع الذي عقده بحلب ، اعضاء جمعية الاتحاد والترقي المكتتمون قبل ذلك اليوم ، وقام معهم بحفلة مهرجان الحرية ، وطلبوا اليه ان يكون خطيب الجمعية بالعربية ، فكان اول من لفظ الحرية بخطبة علنية في حلب لعهد السلطان عبد الحميد ، وتوالت الحفلات والاجتماعات وكثرت الاندية (الكلوبات) وكان يُدعى الى الخطابة فيها في شتى الموضوعات ، من سياسية واخلاقية وعلمية وادبية ، حتى اعتاد الخطابة بداهة ، ثم الخ عليه اصحابه ان يترشح للنيابة عن حلب في المجلس النيابي الذي صدر الامر به ، فلم يربح اكثرية الاصوات في الانتخاب لمزاحمة طلاب الوظائف ، ولرغبة الحكومة التركية يومئذ في تقليل عدد النواب من ابناء العرب ، فكان النائب المسيحي عن ولاية حلب ارمنياً من عينتاب ،

ثم انتخب عضواً لمجلس الادارة ثانية ، ورام الاستمفاء ليتفرغ للكتابة والتأليف فلم يرض بذلك والى الولاية يومئذ فخري باشا ، وكانت بينهما مودة ، ثم عُيّن ايضاً عضواً في مجلس المعارف برئاسة نادر بك من مشاهير علماء الترك ، وعُيّن عضواً ورئيساً لكثير من اللجان في تلك المدة ، اذ أعلنت الخدمة العسكرية على العموم ، وقامت مشاكل كثيرة في الدولة كما

هو معلوم ، ثم عُين معارناً لرئيس المجلس البلدي على عهد الوالي حسين كاظم بك ، ثم عرض له ما دعاه الى السفر قصد مدينة باريس

الرحلة الرابعة الى فرنسا

سار عن حلب في السابع والعشرين من كانون الاول للسنة ١٩١٢ ونزل بباريس لايام مضت من اول السنة ١٩١٣ وظل بها خمسة شهور ، جدّد فيها عهده بقصورها ومماهدا ، وملاعبها وممايدها ، وجنّاتها وملاهيها ، ومشهورات ضواحيها ، كفونتيغيلو وسان كلو ولاسيا فرساي ، اذ تذكر زيارة قصرها الفخيم ، وجنّاتها النعيم فقال على البديهة :

سرت في روض فرساي النواظر والـ أمالُ تنشد يا أيّامنا عودي
هذي الرياض سقاها الغيث لا برحت مخضرة العيش والاوراق والعود
ونظم مدة اقامته بباريس قصائد ومقاطيع كثيرة نُشر بعضها في مجلة النفائس العصرية السابقة الذكر ، ثم زار لندن وهي المرة الاولى التي شاهد فيها تلك المدينة العظيمة ، لكنه رآها في الحسن دون باريس بمراحل ، ثم عاد الى حلب .

وفي السنة الثانية بعد رجوعه أُعلنت الحرب الهائلة ، فاشتغل بالكتابة ودون شعره وكان اكثرهم شهرة في مطاوي الاوراق ، ولما هبط جل باشا على حلب رأى ان يكتتم فلا يزوره ، الا ان بعض اصدقائه المخلصين اشاروا عليه بزيارته ، فالجل داهية ومثله لا يُكتتم امره ، بل نصحوه ان يمدحه بقصيدة ، وكان فيمن نصحه شكري بك العسلي المأسوف على شبابه ، وهو من صلبة الطاغية المذكور ، فانشده على المائدة التي قام بها له المجلس البلدي

مقصورة قال في مطلعها

أجـالَ الدّولةِ والدّنيا لـقـدومك قد مشـت العـليا
لـقـدومك شـهـاء الامـصـا رـبـدت كالشـهب سـأ وُعـلا

ومنها

واذا ما اظلمَ فينا الخطي ب' فرأيك من نورِ اعلى
والعفوُ عن الجاني ير أو ليس الاقربَ للتقوى
قد خاب المفسدُ والواشي والعدلُ لديك غدا امضى
واذا استخفى ذو الفضل فلي س' على تقديرِكَ ما يخفى
والكلُّ عندك منزلة ما من يرجوك كمن يخشى
أنظرُ ببصيرتك القـلـا دقـ واحكم بالرأي الاعلى

ولم يزل يداريه مخافة كيدِهِ وبطشه حتى غادر سوريا .

ولما ورد الخبر بسير جيوش الحلفاء على دمشق ، جمع والي حلب يومئذٍ مصطفى عبد الخالق بك ، عموم الرؤساء الروحانيين وبعضاً من اعيان المدينة ، واخبرهم بمزم الحكومة التركية على الترحيح عن حلب مدة اذا اقترب العدو منها ، ولذلك فهو ينصح لهم ان ينتخبوا من بينهم عشرة اشخاص ليقوموا بادارة المصالح وحفظ الامن والراحة في المدينة ، حذراً من قيام غوغاء الناس الى السلب والنهب ، فكان المترجم عليه في عداد العشرة المختارين ، ولما ترححت الحكومة التركية ، نهض باعباء الخدمة الوطنية المذكورة مع رفقاءه المحترمين .

ثم لما تألفت الحكومة العربية في دمشق اختارتُهُ عضواً في مجلس الشورى فذهب الى الشام في آخر شهر شباط سنة ١٩١٩ وظل هناك الى اول

حزيران من السنة المذكورة اذ عاد الى حلب باذن، ورجع في آخر الشهر المذكور، وفي تلك السنة انتُخب عضواً في المجمع العلمي العربي بالشام، وظل في وظيفته بمجلس الشورى الى كانون الاول، ويومئذ صدر الامر الى اعضاء المجلس المذكور برخصة ثلاثة شهور، فقصد مصر وقضى تلك المدة فيها، ثم التأم المجلس في اذار من السنة ١٩٢٠ فرجع ولبث بالشام الى آخر تلك السنة، ثم استعفى من وظيفته في المجلس عندما استقلت حلب عن الشام بمواطاة بعض اعداء الوطنية من عباد منافهم.

ولم تأت السنة ١٩٢٣ الا وتضيفته المحوم، واخذ في شهاب الغيوم، لعلته اصاب الغصن النضير، والظبي الغرير الحبيب العزيز هنري احد حَفَدَتِهِ ومالك مہجته، فاصلت ضلوعه واشجته بنفسته، وكان يرى بهجة الحياة بمرآه وانوار الشمس بحياه، ولفتة الغزال بقلمته، وجمال البدر في الليلة الظلماء. بطلمته، وكان واسفاه عليه حاشق العلم، وآية من اعجب آيات الذكاء والفهم، فكث يرضه اربعة شهور لم يفارقه ليلاً ولا نهاراً، ولم تُطعم جفونه الغمض الا غرارا، حتى اذا جاء التاسع والعشرون من تموز، انطفأ ذلك النور الملائكي بعد الغروب في بلدة بمحمدون من لبنان، فنزلت بالمرجم عليه قاصمة الظهر، وتقوضت منه دعائم الصبر، واظلمت انوار الارض في عينيه، وهانت الدنيا وما فيها لديه، واخذ الى الشجون والجزع، وكادت ترهق نفسه من الم الوحشة والهلع.

ثم شفته المرض وانتهك جسمه الغم بعد سنة من هذا المصاب حتى اصبح كالخلال، ولم يد دواء لتلطيف احزانه والصبر، غير الكتابة والتأليف، ولا سيما ان الحبيب العزيز كان يرجوه دائماً ان يولف وينشر مؤلفاته في

المجلات والجرائد ، فرأى ان لا يتوقف يوماً عن القيام بما كان يطلبه منه ،
ورأى ان يطبع هذا الكتاب تذكراً خالداً لشخصه المميز واسمه المحبوب
وقال يرثيه

كيف امسيت يا حبيبي عمدي
ام جناناً سكنت ام كنت نوراً
يا ملاكاً قد صيغ من كل حسن
كنت للعين قرّة وسروراً
يا رشيداً على حداثة سن
ابن ذاك الجمال والحسن والاط
كان بيتي من نور وجهك شمساً
كنت لي بهجة الحياة ورغداً
يا أنيسي ويا نديمي ويا ما
لي الى وجهك البديع اشتياق
كلما رمت ان اصبر نفسي
انت في مقلي مقيم فما أب
كل شيء عندي به لك تذكار
صوتك المذب في فؤادي وفي أذ
ليتني مت قبل يومك بل يا
اي قبر سوى فؤادي جدير
اي غيث يروي ترابك الا
كيف احيا وانت لست بقربي

أسرياً حلت ام عرش مجد
احرق الزيت دون قيد وحد
لبس الكون منه اجل برود
لفؤادي ونجم انسي وسعدي
ضاع مني من بعد بُعدك رشدي
فوما فيك من ذكاء ونقد
منذ ما بنت اظلام الكون عندي
ميش ان غبت لم تغب دون وعد
لك روعي خلفتي اليوم وحدي
ونواح اعيد منه وابدي
عنك لا اقي غير شوق ووجد
صر إلا ونور وجهك قصدي
رّم مقيم يطيل نوحني وشهدي
ني ينادي لا تبعد اليوم جدي
ليتني قد سكنت معك بلعد
بك بل انت فيه حي كمهدي
غيث دمع يصبّه دم كبري
بعد ما خلت اني ميت عمدي

بل لقد بت أرتجي العش كيا ببيكائي عليك بزداد و قدي
 وانا جيك موقناً كل نجوى بعد موتي تملأه ليس تجدي
 بل لعل الممات يجمع شلي بك بعد الشتات في دار خلد

سحنة المترجم عليه وملاحه

ابيض اللون او حنطية قليلاً ، رقيق البشرة ، مسنون الوجه ، اسود
 الشعر وقد خالطه الشيب كثيراً في هاتين السنتين الاخيرتين ، اسود العينين
 اسبيلهما ، قصير الجهة ، سبط القوام ، مخروط المعية ، سبط الانامل ، صغير
 الاذنين ، مليح القسامة ، نحيل الظل ، عصبي المزاج ، كثير الحركة ،
 يمل السكون .

وله شغف بالموسيقى والغناء والهندسة والتصوير وسائر الصناعات
 الجميلة ، وهو عارف بالالاعاب العقلية من الشطرنج والورق والترد وغيرها ،
 وله معرفة تامة بفن الطباخة ، حسن الخط ،

صفاته

وصف اخلاقه وصفاته بقلمه امر يعتذر عن القيام به ، وهو مولع بالافتان
 والتدقيق ، بغيبض اليه المتصنع والمتزيي بزي سواء ، يميل جداً الى الانتقاد .

مؤلفاته

السحر الحلال ، في شعر الدلائل وهو ترجمة خاله المأسوف عليه جبرائيل
 الدلال ، طبع بمصر ، وكتاب منهل الورد في علم الانتقاد في مجلدين طبع

مصر سنة ١٩٠٧ وأديباً. حلب ذوو الأثر ، في القرن التاسع عشر طبع حلب سنة ١٩٢٥ . وديوان شعر كبير لم يطبع ، ومجموع رسائل ومحاضرات ومقالات في موضوعات مختلفة غير مطبوع .

واله فصول ومقالات في الادب واللغة والشعر والاخلاق والفلسفة والتاريخ والانتقاد والسياسة وغيرها نشرت في مجلات البيان ، والضياء ، وانيس الجليس ، وفتاة الشرق ، والنفائس المصرية ، والاثار ، والمباحث ، والمنهل ، والحسناء ، والمقتبس ، والنفائس ، ومينرفا . وفي كثير من الصحف ، منها المصباح ، والنجاح ، والتقدم ، والمحرسة ، ومصر ، والعصر الجديد والاهرام ، والمقطم ، وحمص ، والحريّة ، والشهاب ، وصدى الشهاب ، والمهذب والاخاء ، وسورية الجديدة ، والتقدم الحلبية ، وسورية الشمالية ، والزمان .

وهالك شيئاً من نثره ونظمه :

قال في مقدمة ديوانه في وصف الشعر :

إخْلَعْ نَعْمَا لَكَ يَا كَلِيمُ فَانْتَ فِي اَرْضٍ مَقْدَسَةٍ بِنَفْسٍ وَالْإِلَهَةِ
وَإِذَا سَمِعْتَ الشَّعَرَ فَانْزِعْ سِتْرَهُ رَأْسُكَ خَاشِعاً فَالشَّعْرُ نَطَقُ الْإِلَهَةِ
الشعر هو مرآة نفوس الشعراء ، ومتجلى تخيلاتهم بما على وجه الغبراء ،
ومسرح افكارهم وسراثرهم ، ومعرض تصوراتهم وضمائرهم .

وهو سفير الاديب والخلي ، وموئس وحشة الغريب والشجّي ، وقديم
المظالم ، وخليل الحكماء ، وغبطة العشاق ، وعُلالة المشتاق ، والمورخ
والراوي ، والناشر والطاوي ، وابهى حليّ الحسان ، واشرف مزايا اللسان .

ومنها

بل هو رائد القطيعة والعداوة بين القلوب ، ومثير زعازع الفتن والحروب

بين الشعوب ، بيت منه شهتك استار وشهدهم بيوت وقصور ، وشهد دماء
وتطيش حلوم وتوغر صدور ، ينضرم في النفوس نار حب الوطن وما ادراك
ما هي ، فاذا هي في سبيله متعادية متفانية ، يتسابق شجاعها والجبان الى
مصارع الهاوية .

لا بل هو المزهَر الذي تحتلج لنغماته حبات القلوب ، والنديم الساحر
الذي يلهمي المحب عن المحبوب ، والمرقص المطرب ، والواصف المعجب
المغرب ، يحلو تكراره في الافواه ، وان مل تكرار سواه .

وهو الضيف قِراه الاسماع ، ومنزله الضماير والقلوب ، خفيف الظل
خفيف المتاع ، لا يمتريه همم : لغوب ، لا يزال عبوته كلال او نضوب ،
ان أنشد توذ انقل لو انها مسامع ، وتتحنى القلوب لو انها لاسراب ظبياته
سراتع ، ولنجومه وبدوره موقع ومطالع .

ومنها

بل هو سر من اسرار الالفاظ لا يابح في الاسماع الا ويملك من
الافتدة العنان ، فيصرفها كيف شاء ، هدى او ضلالاً فهو لا ريب فيه
رب البيان .

ومنها

بل هو مظهر من مظاهر الجاذبية ، يتجلى في بعض النفوس البشرية
لقابلية فيها او خاصية .

ومنها

لا يختص سلطانه بلغة دون غيرها من اللغات ولا بوزن من الالوزان
او نغمة من النغمات ، اعيا المدارك سر فعله في النفوس فلا تستطيع له

وصفاً وافياً او تعريفاً ، واستمعنى فاعل تأثيره على البصائر فلا تطيق له
تحديداً او تكييفاً ، وهو جواد جمح بكثير من فرسان الفضل وملوك العرفان ،
وسلست مقادته على بعض غلمان الوراقين والخبازين والرعيان .

ومنها

بل هو رسم ادق العواطف واخفى حركات النفوس ، والصهباء التي
تسكر بها الاذواق صافية من اكدار الكوثر .

بل هو الحكمة توحىها الفطنة الى ملك البلاغة والبيان ، فتبرزها لعالم
السمع في ابداع مطارف الهوى وحلي اللسان ،

ومنها

بل هو روح يازج النفوس فيصمديها في عوالم الغيب ، فتتخطى مناطق
القياس والتقدير الى عوالم الشك والريب ، بل تجوز عوالم الحدس والظنون ،
وتخترق الحجب فتترك خلفها ابعاد مرئيات العيون ، وتجرد من عناصر الوهم
والتخييلات ، احوالاً ومخلوقات تحسبها لديها من المشهودات .

بل هو بخار الرياض ، الانهار ، ونفحات الربيع والازهار ، وصدى البلابل
والاطيار ، ولحن نسائم الاسعار .

بل جوهر تجرد عن الهوى ، وترفع عن المادة الاولى ، فلا يتوصل اليه
بغير السمع من الات الحس ، ولا يعلق به شيء من النظر او الشم او اللمس ،
وقد يتحتمل لدى عين الذهن ملء ، كما لو كان مخلوقاً سوياً ، ويقبل ملفوظاً ،
ويُتصور ملحوظاً .

بل هو افصح ترجمان لاعجم مخلوق في عالم الوهم ، وابلغ معرب لافلق
مكتوب في غياهب الحلم .

بل هو اوضح . صور . لاسرع سائح في فدا . الخيال ، واجلي . مفصل .
لمترك التصورات في غيايات المحال . . .

ومن محاضرة في وصف قصور الخليفة المأمون :

وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعد شامع ، ولا سيما قبابها ،
فن محصن الجص الابيض الناصع كالفضة البارقة ، ومن مطلي نصفه
السفلي بالاخضر الماضر والنصف العلوي بالذهب النضار ، وفوقها جامات
الذهب تتلأع كالشهب المتقدة ، ثم تبدو للميون تلك الحدائق الممتدة الى
اقصى مدى البصر ، تنسرب فيها اجداول الماء من برك عظيمة الاتساع ،
مختلفة الاوضاع ، ينصب فيها الماء كالفضة الدائبة من افواه حيتان او سباع ،
او ثيران ونحوه . من سرر مخلف الانون ، بالغ من الصناعة نهاية
الاتقان ، بين جدات قد ازدهت غياضها ، واشتبهت اشجارها ، وتماثقت
اغصانها ، وامتدت ظلالها ، يسير فيها الداخل تحت اقدية واطواق ، من
فسيفساء الادرق ، في ممشى كفا ارضها خزان سندسية ، وعلى جانبيها
درازينات لا يدرك الطرف مستهاها ، قد اعترش عليها الياسمين ، وتماق
بها الورد والنسرين ، ونفحت حولها الازهار والرياحين ، وقامت وسطها
القصور الباذخة ، والصروح الشاخة ، والاروقة المرتفعة ، والجواسق المنمقة ،
ذوات الساحات المترامية ، والمصحون الفساح ، والافنية الرحاب ، والاندية
العظيمة ، طيقانها ابواب ، وابوابها حيرة الالباب ، قد أرخيت عليها ستور
الدبياج والاسترق ، كانها اجحة الطواويس ، وقُرشت ارضها بانواع
الفسيفساء ، نخاكي ازهر الجنان ، ومتمادى الحيوان ، من اسود وغور وغزلان
برخام متعدد الالوان ، يخالطه خشب الصندل والعود الهندي ، وفي كل بهو

بركة او يرك تنساب اليها المياه على ملون المرمر كالاجين الذائب ، والسماك على اختلاف الاشكال والالوان ، تصعد في مآنها وتنحط ، وتعموم كما يعموم فيها البط ، وقد رُقشت حيطان تلك الابهآ بالقاشاني البديع ، يحاكي بالوانه ورسومه ازهار الربيع ، وُرُفمت سقوف تلك الاندية الرحاب ، على اعمدة المرمر ذوات الالوان الباهرة ، وقد أحرك صنعها ونقشها ، وتكامل حسنُها بتذهيبها ورقشها ، وقامت قبابها على قناطر وحنايا واضلاع ، بلغت بها صناعة الهندسة غاية الابداع ، ودارت فيها الطيقان ، كالقلائد في اعناق الحسان ، وقد قعدت على اساطين وسوآدر ركزت على قواعد من الصوان ، وتقنعت باقداح من الرخام ، وبلغت من الزهو والارتفاع

ومنها

وكانت لا تفع العيون في تلك الاندية والابهآ والغرف والمقاصير ، الا على محاسن قد تنهات في الظرف ، وملاحة وابداع يقصر عنهما كل وصف ، فمن حيطان من الزجاج رُفمت وراآ الشُرُفات تنمكس عنها الانوار الى داخل القباب ، ومن حيطان من جسيم المرمر قد حاكت بحفرها ورسومها حبانك الغمام ، او اجنحة الاطيوار ، او غلائل الحسان ، او ظهور السمك والحيتان ، او صور الغزلان وغيرها من الحيران ، بين مجتمد ومفوف ، ومسبر ومنحدر ، ومكفوف ومفوف ، الى اشكال والوان يُعجز وصفها . وفي كل قصر قصور ، وفي كل فادروضة وغدير ، وغرف ومقاصير ، وسجوف مُرسلة ، وستور متراخية ، وسُرُر مرفوعة ، واثاث مصنوعة ، وحِجال منصوبة ، ومجالس مفروشة ، ومقاعد موضوعة ، وكراسي مصفوفة ، وطنافس مبسوطة ، وموائد قائمة ، واباريق بشوثة ، وتخواب من فاخر

الصيني مسنودة ، وترجييات منسوقة ، واوان مختلفة الاشكال ، نادرة
الحسن والمثال ، من الصيني والزجاج ، والذهب ونفائس المعدن ، وبجامر
العنبر ، ومباخر الند ، وقم ماء الورد ، الى ما لا يبلغه عد ولا يتخيله
فكر شاعر .

ومن سوانحه :

انوف كبيرة ، على نفوس صغيرة .
ما اكثر المقلدين ، واقل المبتدعين .
لا تنق الاغراض ، مع كدّر الاغراض .
دعاور عريضة ، وهمم مريضة .
التقليد مع الجمود ، ذبول وهزال يسير بالامة الى المذلة والانقراض .
التقليد مع التحسين (الاجتهاد) نحو في الامّة يصعد بها الى
قمة المجد .

ومن قدوده لحن عربي بتصرف عن الاصل الفرنسي

jusqu'au tombeau je te serais fidel

يوم النوى لقد كوى فؤادي وشرح ما جرى لسا يطول
نفي الهوى من الجوى سهادي وقد رثى ورق لي العذول

دور

فلا تسل عن موقف الفراق وغير دم مي لم يكن معين
وساعة الوداع والعناق سلحتها قلباً لها امين

دور

وقلت يا مليكة الجمال ومنيتي وبهجة الوجود

وغايتي ومنتهى آمالي ونسحتي ونقمة الحسود

دور

لئن جرت بنا يد القضاء وشئت نظاً من البديع
فانني سموأل الوفاء وأنني اسرك المطيع

دور

ماحلت عن عهدي ولا ذمامي ولو أريب قى دونه دمي
وأنني لساعة الحمام سواك لا يحول في فمي

دور

اليك يا اميرة الحسان شكوتُ حالي فانظري الدواء
على لسانى وعلى جناحي لتشهد الـ برايا والسماء

دور

وانتِ يا فريدة الملاح هل قلبك على الولا مقيم
أم انتِ بـ ن الجِد والمزاح تفسين عـ ودنا القديم

وكتب الى صديقه الاديب العالم السيد اسعاف المشاشي في القدس

جواباً عن اهدائه له رسالة من تأليفه :

وصلتني كلمتكم ، كلمةٌ ، وجزء في سير العلم وسيرتنا معه ، فسرحتُ
طرفي منها في روضة بلاغة نقطت ازهارها الغمام ، بل في عالم فضل
جمع شتيت العوالم ، ونقلتني سطورها الموجزة الى الهند والصين ،
ورفعتني آياتها المعجزة الى اعلى عليين ، وابعدت بي في المكان والزمان ، حتى
حادثني كهيئة ، صر وفلاسفة اليونان ، بل جاوزت بي عصور الخلق الحيواني
واحقاب ظهور النبات ، بل تعدت ما قبلها من الدهور السحيقة لتكون

الجمادات ، ثم حَلَقَتْ بي على اجنحة الفكر وأقدام الخيال ، فجوَّلتُ في العوالم الشخصية ومَن لي بشرح ذبلك التجوال ، وعايَنت باعين العلم ما تعجز عن ادراكه اعين الحس من آيات الجمال . ثم حذرتني الى عالمنا السيار ، وسأدتني الى آخر الاعصار ، وعرفتني جماعة من حكماؤه الكبار . كباكون ونيوتن وسبنسير ودروين ، وكنت ولا مارك وهيككل عالم المتأخرين ، وكثيراً من اضرابهم مَن تطأطي لفضلمهم شرايح الروس ، ويقال عند ذكر اسمائهم لا عطر بمد عروس ، فيا حبةذا كلامك وما أجزت ، والله دركك والله انت ، لا زلت تدبر علينا من صهبآ . فضلك كوروسا ، وتطلع لنا من سماء معارفك بدورا وشموسا .

وقال في وصف لبنان من كتاب لاحد اصحابه :

... لدى تجوئك في قم لبنان واوديته ، تستنشق نسمة وصافي اهويته ، بين عيونهِ المتفجرة ، وغايهِ التحذرة ، وظلاله المشمرة ، ورياضه المزهرة ، تمتص ريق كل بكر من بذات الكروم ، وتصرع كل جيش من جيوش الهيوم ، وتماثق كل غائبة من غواني الخيال ، وتتسادم كل معنى من معاني الجمال ، وتذوق طعم كل حسن في الوجود ، حتى قد لا تفوت حواسك الخمس لذة الخلود ، فياليتني كنت ممك ظاعنا ومقما ، فافوز ولا ريب فوزاً عظيماً .

واليك شيئاً من نسيبه :

عهدي بجمالك في الهوى موصولا	وبربع ودك عامراً مأهولا
اذ كل اوقات الزمان ربيعنا	واذ الشبيبة لم تضع مأمولا
واذ النواظر خير رسل بيننا	واذ الحديث حكى النسيم بليلاً

ليلات أنسٍ مثل ساعاتٍ مضت
 وآهاً لذيتك الزمان فأنه
 أيام فرح في ميادين الصبي
 طوداً تعاطيني الكونوس وتارة
 ولكل يومٍ موعدٌ نشكو به
 ولكل روضٍ من عبير عتابنا
 وبكل خلوة جنة سر لنا
 ولكل بادرة تجول بنحاطر
 برسالة قد سطرت لم نأتمن
 هل أنت ذاكرة بعيشك حبنا
 اذ كنت تختصرين مني ساعدي
 وارى بقربك جنّتي وسعادتي
 أم فاسيةً احاديث الهوى
 أم قد اطمت الماذلين وسعيهم
 أم قلت انك قد كبرت عن الهوى
 وذهبت في ليل الغواية مذهباً
 أسفي على ذاك الجمال فأنه
 وقد انطوى فكأنه حلمٌ غدت
 تالله ما عجم الزمان عزيبي
 اسلاكٌ صبح قد بدت في لمتي
 اهلاً بما ابيضت وجوه من سنا
 بل اشهر مرّت بنا تمجيلاً
 عرس الحياة وقد اقام قليلاً
 ونجرت من حلال الهناء ذيولا
 تحمي على البسار الممسولا
 حر الصباية او نكيد غذولا
 أريجٌ يُعيد الريح منه قَبولا
 شدت البلابل آية تزيلا
 منا شروح فصلت تفصيلاً
 يوماً لها بين الانام رسولا
 ومواسماً غرراً لنا وحجولا
 واضمٌ منك المصم المفتولا
 وترين بي كل الهنا والسولا
 وجوى الغرام وعهدك المسئولا
 ما زل منذ خالق الهوى تضليلاً
 ففطمت وذتي واتخذت بديلاً
 ارضى الوشاة فليل ما قد قيلاً
 قد بات شيئاً بعدنا مبدولا
 ترويه اشعار القرون الاولى
 الا تولى خائراً إجفياً
 كالبرق بات على الدجى مسلولا
 انوارهم ففدا لنا اكليلاً

ليلات أنسٍ مثل ساعاتٍ مضت
 وآهاً لذيتك الزمان فأنه
 أيام فرح في ميادين الصبي
 طوداً تعاطيني الكونوس وتارة
 ولكل يومٍ موعدٌ نشكو به
 ولكل روضٍ من عبير عتابنا
 وبكل خلوة جنة سر لنا
 ولكل بادرة تجول بنحاطر
 برسالة قد سطرت لم نأتمن
 هل أنت ذاكرة بعيشك حبنا
 اذ كنت تختصرين مني ساعدي
 وارى بقربك جنّتي وسعادتي
 أم فاسيةً احاديث الهوى
 أم قد اطمت الماذلين وسعيهم
 أم قلت انك قد كبرت عن الهوى
 وذهبت في ليل الغواية مذهباً
 أسفي على ذاك الجمال فأنه
 وقد انطوى فكأنه حلمٌ غدت
 تالله ما عجم الزمان عزيبي
 اسلاكٌ صبح قد بدت في لمتي
 اهلاً بما ابيضت وجوه من سنا

ومن غزلياته :

تذكار ليلة

لله ما هذي الشمايل
 يا غاية الحسن التي
 لك طلعة البدر المنية
 لك حجة عند الجدا
 يا سرّ انواع الجمال
 هل انت مُسعدتي بطائل
 لله ليلتننا التي
 يبرها فكم عين سرا
 جنباً الى جنب على
 طائيتها طُرف الحدي
 وتفننت بكلامها
 تدنو وتبعد تارة
 حتى اذا ما قاربت
 حاولت قبلة ثغرها
 وتباعدت عني كما
 وظللت ارقب خلسة
 فقبضت مرمصها وقل
 لا عين ترقبنا هنا
 فاجبت ارجو قبلة
 تيمت ذا جهل وعافل
 سبت الاواخر والاوائل
 ر وقامة الخطار ذابل
 ل تقوم في فأنج المجادل
 ل وآية أبت المائل
 أم انت مُسعدتي بنائل
 مرت كمر البرق حائل
 قبة وكم سمع مخاتل
 مرأى الحواسد والموازل
 ث فناولتني خمر بابل
 ففتنت حتى بت ذاهل
 شأن المساجل والمغازل
 وظننتها مطواع آميل
 فتجاهلت مما احاول
 شاء الدلال فلم أزايد
 منها فأدات فعل غافل
 ت كفى دلالك فهو قاتل
 قالت فلماذا انت فاعل
 عجلاً فخير البر عاجل

قالت فخذها من رضى
فلحمتُ وجنتها وقل
قالت أما أنيتَ عن
أنَّ القناعةَ في الهوى
وعساك تقنع مثل ماقل
تُأرومُ وعداً منك آجل
طمعٍ فقلتُ هواك شاغل
شأنُ المغفل لا المخل
ومن موشحاته :

﴿ فلسفة الغرام ﴾

قالت الى كم تشتكي حرَّ الجوى وتدعي اذكَّ من اهل الهوى
أنحسبُ الغرامَ والميل سوا كلاً فما ذاك من هذا النوى
وانما الغرامُ شيءٌ آخرُ

ما كلما اصطاد غزالاً اسداً او جاراً ذوحسنٍ بحكمٍ واعتدى
اوراحَ مشتاقٍ يذمُّ السهَّداً يُقال ان للهوى فيه يدا
وانما الغرامُ شيءٌ آخرُ

ما كلَّ قلبٍ خافقٍ متيمٌ او كلَّ دمعٍ عن هوى يترجمُ
كم حاذلٍ بالغيب امسى يرجمُ يقولُ بالغرامِ ما لا يعلمُ
وانما الغرامُ شيءٌ آخرُ

ليس الغرامُ موعداً لم يصدق ولا شفاهاً بشفاهٍ تلتقي
ولا عتاباً مع رسولٍ مُشفقٍ ولا يميناً وُكِّدتْ بموثقٍ
وانما الغرامُ شيءٌ آخرُ

كم نظرةٍ قد اطمعتُ ذا املٍ ولقنةٍ اشدَّ شغلتُ ذا شغلٍ
وليلةٍ ما شئتُ فيها فقل وكأها عن الهوى بمزلٍ
وانما الغرامُ شيءٌ آخرُ

ومنة

إذا عيونُ بعيونٍ علقتُ فخفقَ القلبانِ مما نطقتُ
فاجتذرتُها بقوةٍ قد أوثقتُ كلاهما كما قضتُ وشوقتُ
فذلك الغرامُ ليس الآخرُ

.....

وقال في باريس يصف يوم مهرجان :

يا يوماً اطلعه الدهرُ	كلُّ الأيامِ له مهرُ
باريسُ جأتُ فخلانقُها	وشوارعُها موجُ بحرُ
يا نصفَ الصومِ وعيدَ القو	مِ أبعدك عيدُ أم فطرُ
باريسُ سمحتُ فعمانيها	وغوانيها سكرُ سحرُ
فهُنا قد يحكي غصناً	وهنا وجهٌ بل ذا بدرُ
وهنا قفزٌ وهنا لذُ	وهنا بوسٌ وهنا مصرُ
وهنا روضٌ وهنا نهرُ	وهنا حوضٌ وهنا جسرُ
ونجومٌ تُذرى فوق الخلا	ق لها نظمٌ ولها نثرُ
ورقٌ يحكي ألوانَ النو	رٍ فلا يُخشى منه ضرُ
فوجوهٌ منه تصفرُ	ووجوهٌ منه تحمرُ
قد بتنا منه بأثوابِ	لم يُبدعها يوماً فكرُ
عيدٌ للحسنِ تُعيدُه	باريٌ فن لا يفتُرُ
وشوارعُها سالتُ بالناسِ	سِ كبحرٍ يقذفهُ بحرُ
ملكاتُ الحسنِ علتُ فيها	سُرداً لم تشهدُها مصرُ
جرتُها جيلٌ مسرجةٌ	بسروجٍ طرزهَا التبرُ

سارت والموكب يقدمها
وبنود تحفق حواشيها
وطبول ثم مزمارير
لله بدائع باريز
من قصر يحمله فيل
او فلك سار على بكر
او حصن جرته خيل
او قل يكسوه ثلج
او من عرش فيه صنم
او بستان فيه قصر
وملائكة في افلاك
وطهاة ثمان مأكولا
وطهاة قد لبست حلالا
فالافت مع الشوكي مشى
وكرفس مثل رماح يته
وجرى هرم يختال فتحة
وهنا طائوس من نور
ومصابيح وقناديل
واهازيج وانشيد
وغرائب ليس لها وصف
والناس من الحيطان وفي

لا يحجب حسناء ستر
والنبد تضيوع والمطر
صدحت فتجاوبها القجر
وعجائب ليس لها حصر
او عرش يحمله نسر
تعلوه حسناء بكر
قادره عذراء غر
لم تصعبه ريح نكر
فيه روح فيه سر
فيه حور فيه زهر
فيها نجم فيها بدر
عشرات يحملها قدز
كبقول ابتهاها بذر
ومشي البقدونس والجزر
لوه يصل ثوم فطر
ب في باريز بدت مصر
وهناك من نور صقر
حمر صفر زرق خضر
وعساكر يحدوها النصر
في الكتب وليس لها حصر
طيقان تصيح لنا البشر

ونساءٌ قد لبست أثوا
وشيوخٌ تلعبُ كالولدا
وزجاجاتٌ وإباريقٌ
ونهارٌ العيدِ بلبسته
ما بينَ اللّهُوَ تَفْضِي اللّهُ
فأبادٍ في أيدي عُقِدَتِ
وخصورٌ تحسبها وهماً
كم جيدٍ افتنَ ذا لبٍ
رقصوا كغصونٍ قد لعبت
كم خصرٍ طوقه زندٌ
كم قلبٍ يخفقُ في صدرٍ
صاحوا والصبحُ يفرقهم
يا عيداً تفديهِ الأعياءُ
عُدْ والزَمِ حاصمةَ الدنيا
كُلُّ الأُمصارِ لها عَقَبٌ
بَ رجالٍ والتبسَ الأمرُ
نِ وليسَ على أحدٍ نَكْرُ
لعبتِ بمعاطيها الحمرُ
وصلوه فلم يحدثَ هجرُ
لُ على عجلٍ وبدا الفجرُ
وأبادٍ يعقدُها الشمرُ
ولحاظٌ عاهدوا البحرُ
كم غصنٍ يملوه بدرُ
بجواشيها نَسَمٌ عطرُ
كم خدي قبلة ثغرُ
كم حاجٍ يحملة خصرُ
وعهودُ الحبِّ لها نشرُ
دُ ويحسدُ بهجته الدهرُ
فسواها من الجسمِ الظهرُ
باريسُ من الدنيا الصدرُ

ومن باب الوصف أيضاً قال يتشوق الى باريز وقد سمع منشداً ينشدُ
C'est là c'est là que je veux vivre, aimer et mourir.

فمرّ بهُ ببیت جملة قبل بیت الختام :

حـ الحنين حـ

حنينٌ الى تلك المنازلِ زائدُ
وشوقٌ وان شطَّ المزارُ مقربُ
وطرفٌ كما تقضي الصبايةُ ساهدُ
وحظٌ برغمِ العزمِ مني مباعدُ

سقى الله عهد النازحين وان قسوا
وباكر هاتيك الديار نسيحها
بلاد هي الدنيا وقوم هم المني
ولا غربة فيها لمثلي يخافها
منازل أنس أنس الطير عندها
هنالك لا غر جهول مزاحم
صبوحى فيها بالجمان تفتحت
وفى غبوقى بالرياض تسلمت
وحولى مما ينمش النفس كل ما
فروح وريحان وراح شهية
نهارى فى نظم المحاسن ينقضى
أشاهدنى فى جنة عند كوثر
يحاذى فلكان فيه كأنه
وأشهدنى فى ملاب فاق حسنة
فن دار تشخيص الى ظل جنة
مغان تغاني الدهر عنها لشقوى
فلاصحتى مذ بنت عنها صحبة
بلاد تقضت صبوقى فى ربوعها
وماودتها بعد الشباب ولما
أحب برادىها واهوى قصورها
هنالك لا شمل الصفاء مبدد

عهد الاماني كلما حن واجد
تططر منه روضها والمعاهد
وسكانها الاهلون والعيش بارد
ولا الاخ غضبان ولا الجار حاقد
وياهل فيها نمرها والاساود
ولا الفضل مقوص ولا العلم كاسد
ازاهرها والطل كالدرى طاقد
عليها سواق كالاجين قلائد
يجدد عهد الحب والوجد راقد
وانغام اوتار وبيض خرائد
وليلى فى ما ينثر الفضل نافد
عليه حسان كأهن نواهد
سماء بلبل رصمتها الفراقد
تقصر عن ادنى بهام القصاد
الى منتدى فضل تسير المقاصد
فهل نحوها بعد النوى انا عائد
ولا موردي صفو ولا الهم حائد
وعدت اليها والشباب مساعد
مخضبة كالفجر والوجد واحد
وسكانها القوم الكرام الاما جد
بكيد الاعادي لا ولا الجهل سائد

هناك أهوى أن أعيش واشتدني
هناك فؤادي لا يزال مقيداً
هناك أهوى والموت حين يراد
وليس يطيب العيش والقلب شارد
ومن مقاطيعه التي ساهما ، سرآة الاخلاق ، وهي وصف اخلاق بعض
المعاصرين او بعض اخلاقهم قال

إذا لم تكن خلا أميناً موافقاً
ولا رب جام يستظل بظلمه
ولا كاشفاً غمّاً إذا العام انحلت
ولم تك مطواعاً فتُرشد للهدى
فقيم قد الصوت في كل مجلس
وتلتقط الاخبار غداً وتافهاً
فهل ترجي مني وداداً وصحبة
يميناً لئن كنت ابن أمي ووالدي
لما زدت في عيني على قدر غلة
ولا صاحباً يرجي خير ويقصد
ولم تك ذا صوت رخيم يغرّد
ولا فيك علم عنك يروى ويُسند
ولم تك ذا نصيح وعقل فتُرشد
وتعلم به طوراً قائماً ثم تقعد
وان قال ذو فضل عندك تفند
وانت من الخيرات والفضل مكسد
وكانت كنوز الارض عندك توجد
ولا كنت الا هارباً منك ابعد

ومن هذا الباب :

إذا ما موثيق الأخاء تفتّمت
ولم تك منكم للمهود رعاية
ومنه ايضاً :

عجبي من معشر إن يسمعوا
انا لا احزن ان قيل اغتني
لا ولا افرح ان قيل أهوى
بنعيم الناس لا اشقى ولا
قول شرّ رقصوا واستبشروا
بعد عسر واحد او اكثر
من اعالي عزه مستكبر
ارنجي لي ثروة ان فقروا

حَسَدُ الْجَاهِلِ شَرُّ فَاضِحٌ حَسَدُ الْعَالِمِ شَرُّ اكْبَرُ
ورأى المزوق (المدَّهَن) في غرفة مكتبته يتأزق في نقش السقف

وترويقه فقال

هَبْ أَنْ هَذَا السَّقْفُ مِنْ عَدَجْدٍ وَأَنْ هَذِي الْأَرْضُ مِنْ فَضَّةٍ
أَلَيْسَ ذَا عَارِيَةٍ كَلَامُهُ وَالْمَنْزِلُ الْآخَرُ فِي حَفرةٍ

وقال

طالما قد اسأتم وعفونا يَوْمَ كَانَ الرَّصِي شَفِيحاً مُؤَمَّرُ
كم جرحتم قلبي ولم اتبرم وَكَسَرْتُمْ عَظْمِي وَلَمْ أَتَضَجَّرْ
كان منا الصَّبا مرهم جرح وَجُبُوراً لِكُلِّ مَا يَتَكَسَّرُ
فأسأتم بعد اكتمال وكسر عَظْمٍ بِعَدِ الْمَشِيبِ لَا يَتَجَبَّرُ

وقال من باب لزوم ما لا يلزم .

أما في الحمى ضوء لمن جنَّه الليل أَمَا هَضْبَةٌ تُرْقَى لِمَنْ دَهَمَ السَّيْلُ
الى كم يظنُّ الظلم للعدل ما حياً وَكَمْ يَسْتَمِرُّ الْجُورُ فِي النَّاسِ وَالْوَيْلُ
إذا قال ربُّ الفضل أنكر قوله وَأَنْ نَطَقَ الْمَهْذَارُ قِيلَ هُوَ الْقَيْلُ
أقرب طرفي في الديار فلا ارى سَوَى مَدْعٍ فَضْلاً وَلَيْسَ لَهُ ذَيْلُ
إذا قلت قم للأمر قام ممدداً مَا ذِيهِ لَا حَوْلَ فِيهِ وَلَا حِيلُ
تحكمت الاذئاب فالامر اعوج مَتَى كَانَ الْأَذْنَابُ عَنْ عَوَجٍ مِيلُ
أجهلاً وبغياً واستطالة فاجر وَعَصَرَ جُيُوبِ الْقَوْمِ قَدْ طَفَحَ الْكَيْلُ
أما فيكم للبث صيحة مشتك إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالٌ لَدَيْكُمْ وَلَا خَيْلُ
كفى القوم طاراً ان يُقال غبيهم أَخُو سَوْدَدٍ فِيهِمْ لَهُ الْمَنَعُ وَالزَّيْلُ

ورأى في المنام من يعرفه فخطبه بالبيتين الاتيين وسمع منه جوابهما :
اكمل هذا الوقت والدولة التي له دوننا فيها غدا النهي والامر
متى ينتهي جهل الزمان وحكمة فينحط ذو جهل ويرتفع الحر

فأجاب

فخبرني من أصبح الامر امره فكان الذي ارجو واسمعي الدهر
هل اصطفي الا اناسا خبرتهم لهم دون علمي وهو لا شيء بل هذر
وقال يوثن صديقه الاعز علامة العصر الشيخ ابراهيم اليازجي وانشده
بمحتفل مشهور في الاسكندرية سنة ١٩٠٦ وهو من نوع الموشح وسماه
لمصنع :

يا راحلاً والقلوب في أثره تتقطّع

وغائباً لم نلف على خبره ولم نطمع

ويا حبيباً زواه عنا الردى ولم يشفع

في بعده شافع الحبي

هل عمي الدهر عن جيم الورى فلم يدفع

يومك يا غاية المني

لو كان فداؤك بالارواح شيئاً معقولا او امراً مقبولا

لبذلناها

فدكت لنا شمس الاصباح لما كسفت منائف جرت مقل نظارت

ما ادماها

فلو انك مذبذب ت هذي الارض قد عاين

ت حزن البعض ما استنكف ت ان توحى اليهم بعض اياتك

ليفوكَ حقوقَ رثائكَ والتأبينِ
انْ كانَ يفي ذاكَ بيانٌ أو تبينُ

فلو اذنا الشهبَ استزلناها وفداً وفداً
وعقودَ الدرِّ نظمناها عقداً عقداً
وصنوفَ الوردِ نشرناها ورداً ورداً
لفضاءِ حقوقِ عُلّاكِ ووفاءِ ديونِ حُجّاكِ

لم تنلِ سوى الفشلِ والحجـلِ
اذ عرفك (١) طيبٌ بل عنبرٌ بل ذاكَ هو المسكُ الاذفرُ
وبيانك (٢) سحرٌ أو سكرٌ بل ذاكَ النيلُ بل الكوثرُ
وضيائك (٣) نجمٌ بل ازهرٌ بل صبحٌ وضاحٌ اسفرُ
بل ذلكَ شمسٌ بل انورُ

فلأنوارِ معانيكِ ولاسرارِ اماليكِ تمنو الافهامِ
وعيونُ النثرِ اذا فاضتْ وبحورُ الشعرِ اذا غاضتْ
لا بدعَ فيه ذاكَ خطبُ عمِّ صنوفِ العلمِ
واللغةِ والمصر (٤) انهما لفي خسرِ
ولمصر عكَّ البلبِلُ انتحر (٥) والزهرة غارتُ والقمر (٦)
فن المعية دُ أو المجيء دُ سُلّافة دُعيت شمولاً
ومُدّامة سلبت عقولاً

(١) المعروف الطيب (٢) مجلة البيان (٣) مجلة الضياء (٤) مقالة (٥) انتحار بلبل مقالة

(٦) مقالة الزهرة ومقالة القمر

فغادرت اهل الهى حيارى تحسبهم بلا حجبى سكارى
وما هم بسكارى

اما المعجزة الاخرى بل آية آيتك الكبرى ففرائدك الحسان (٨)
نلك اليواقيت التي تفدى بنور المقلعة مالولوث ومرجان ؟
فلها بمد نواك عينان نضاختان

ومنه :

والشمر اطاعتك منقاداً لا يزمام عاصيه
والى تبيانك قد سجدت اهل الاقلام تستفتيه
لما خرت صفوف القوافي لبراءتك صفاً
وخضعت بل ركعت صنوف الكلام الطيب لبراءتك صنفاً
واصبحت آيات البلاغة عيالاً على صناعتك بل وقوفاً وقفاً
وتوارد مترادف اللفظ عند موردك ردفاً ردفاً
وتزاحم جماعات الفصاحة عند كعبة عرفانك ألفاً ألفاً
فشاردتها الفت ومستورها كشتت ووضعت وجمعت
واقته واقعدت واضمحكت وابكيت واعدمت واحببت
فا الذي حل بذاك الهيكل الانسي فقضى على حركاته بالسكون ؟
وما عرا بل ما دها ذلك الروح القدسي فجب هيولاه عن العيون
أطائر قد يعود ام غائب موجود ام مضمحل مفقود ؟

لا

بل انت الحى باثارك الباقي باسنى انوارك

المستعلي فوق الأحياء الخالد في عرش الضياء.

المرتدي ثوب البهاء.

يا قوم ، لا حزن على إمام من بعد اليوم

وقال عندما ورد الخبر بفتح القدس في التاسع من كانون الاول

للسنة ١٩١٧

...

الفتح الجليل

أشروعوها هندية تتلمع
قدّموا قبل سيرهم عجالات
حملوها من البلاد جبالاً
رقبوها كتائباً قاذفات
فجرت حيث تاه أقوام موسى
وقضوا أن يكون للقدس يوم
فاستداروا حول المدينة حتى
ثم عنها تباعدوا مظهرين
فاقتفاهم جيش من الترك والأر
قاده قائد عنيد شديد
قال مصر لكم فسيروا إليها
فأناه الصريخ أن حصون
وتلاه من المدافع رعد

ثم ساروا والجيش بالجيش يتبع
كحصون وكل حصن مدرع
بل رجالاً بكل قلب مشيع
بسيول النيران من كل مدفع
راشداً كالبرق أو هي أسرع
يترضى بحكمه الناس أجمع
بيت لحم وشاهدوا كل موضع
مجز حتى تراجعوا كل مرجع
حان والكرد والمجار تجمع
طالما دبّر الجيوش وفزع
ليس لي بعدها سوى الهند مطمع
قدس في قبضة العدا فتزعزع
قاصف زلزل الجبال وززعزع

رُكْنٌ قُدْسٌ - الْاِقْدَاسُ انْ يَتَضَمُّعُ
وَكُرٌّ بِهِ الْمُنَايَا تُوزَعُ
كُلُّ يَوْمٍ مَجْدٌ جَدِيدٌ مَفْرَعٌ
قَدْ أَبَتْ اَنْ تَحُولَ اَوْ تَتَسَكَّمُ

رَجَفَ الْقَبْرُ رَجْفَةً كَادَ مِنْهَا
ثُمَّ كَانَ الضَّجِيجُ وَالْمُحُولُ وَالْفَرْ
ثُمَّ بَانَ رَايَاتُ قَوْمٍ لَهُمْ فِي
وَلَهُمْ فِي الْحُرُوبِ عَادَاتُ نَصْرٍ
وَمِنْهَا

لِمِ الْفَاتِحِينَ حَمْدًا مَضُوعٌ
مِنْكَ نُورٌ لِّلْفَتْحِ فِي الشَّامِ اشْرَعُ
بِتَ لِلْأَمْنِ وَالْمَدَالَةِ مَطْلَعُ
نَى إِلَى الْوَفْقِ وَالْتِسَاوِي وَاجْمَعُ
فَوْقَ تِلْكَ الْجِبَالِ فَاحِ وَقَرِّعُ
وَلِنَشْرِ التَّفْرِيقِ وَالْحَقْدِ مَرْبِيعُ
وَأَنْ دَهْرًا وَلِلتَّفَاسِدِ مَهْمِيعُ
جَدِبُ فِيهَا فَاصْبَحَتْ شَبَهَ بَلْقَعُ
نَظْمِ الشَّعْرِ فِي حَالِكِ وَسَجْعُ
مِنْ عَدَاءِ عَمِّ الشُّعُوبِ وَدَوَّعُ
ظُلُمَةُ الشَّرْقِ تَنْمُحِي حِينَ يَسْطَعُ
مَسْجِدَ الْأَشْرَفِ الْمُنِيفِ الْمَرْفَعُ
مِي سَلِيمَانَ سَعَبَ عَزَّةَ مَسْرَعُ
لَجْدِيدٍ يَكُونُ لِلْعِلْمِ مَجْمَعُ

رَتَلِي الْحَمْدَ يَا مَعَابِدَ أُورَشُ
وَاسْتَنْيرِي وَهَلَالِي وَاسْتَنْيرِي
بَعْدَ جَوْرِ مَضَتْ عَلَيْهِ قُرُونُ
بِتَ لِلنَّاسِ كَلَامُهُمْ حَرَامًا أَدُ
حَقَّقَ الْفَتْحُ قَوْلَ كُلِّ رَسُولٍ
كَفْتُ لِلشَّرِّ وَالتَّبَاغُضِ رُكْنًا
كَفْتُ أَرْضَ الْحُرُوبِ وَالظُّلْمِ وَالْعَدِ
لَجَفَّتْ أَرْضُكَ الْمِيَاهُ وَحَلَّتْ أَلِ
صَدَقَ الْيَوْمَ قَوْلُ كُلِّ نَبِيٍّ
مِنْكَ يَأْتِي مَخْلَصُ النَّاسِ طَرَا
وَيَرَى الْخَلْقُ فَوْقَ طُورِكَ نُورًا
فَرَعَى اللَّهُ بَيْتَ لَحْمٍ وَحَيَا أَلِ
وَسَقَى رُكْنَ هَيْكَلِ الْمَلِكِ السَّا
يَتْرَكَ الْهَيْكَلُ الْقَدِيمَ كَظَلٍّ

.....

وَمِنْ مَقَاطِيْعِهِ :

للحال سلطان عظيم في الوري
هو آلة لماخر وسعادة
هو كالطعام لما غذاء صالح
فيه قوام الجسم ما اعتدل غذا
تبذيره سفة وحق كره
فاقصد لكسب المال من ابوابه
لا علة عبت لمحض ترابه
ان صح هضماً لا بفرط نهابه
وصيانته لفساده وعذابه
فعليك في الانفاق سبل صوابه

وكتب اليه احد المتأدبين الظرفاء من السجن يستغيث به ليتوسل في
اطلاقه فاجابه مداعباً بهذه القصيدة :

إنني نبئت ان الشيخ قد
بقضاء الله او متهماً
فادرع بالصبر واعلم انها
يا رعى الله مكاناً قد غذا
ليس ما قد بت فيه قفص
انما ذاك عرين منذماً
او هو القصر الذي فاق على
فلذا يحسد من بات به
كم به من نفخة مسكية
وبراغيث اذا ما حاجت
وسوى ذلك من قل ومن
ومراحيض على ابوابها
ووجوه يظلم الصبح لها
يا لاجر ناله الشيخ ويا

ساقه بالامس ارباب الدرك
يخناج هو افك موتفك
نعمة حلت على عبد نساك
فيه شيخ الظرف يجري كالسماك
لا ولا سجن ولا ذاك شرك
اسد الشهباء فيه قد سلك
فلك حل به يوماً ملك
في نعيم العيش يا شيخ معك
تنعش الروح اذا الليل حلك
خلتها مثل اسود المعترك
لسع بق قد حكى وخز الحسك
كم سراويل تداآت وتكك
خيم اليأس عليها وبرك
ويح من في اثم اليوم اشترك

ومن ممر بآته عن قصيدة فرنسوية :

يوم في عيد في الجنة

للآله ربّ العرش والاكوان
ولقد اتاه ذات يوم خاطر
فقام في اسمي قصود جنانه
ودعا اليه وهو اكرم من دعا
لكنه ساوى الجميع وربما
فما كان في لطف التحية مسلماً
وجميعهم جرين جري قرائب
ونهلن كاسات الولاء وقد تبا
لكن ربّ القصر جلّ جلاله
لمح اثنتين كأنما احدهما
ولعلمه بطريقة البشر الألى
مدّ اليدين اليهما متناولاً
والى اليمين اشار وهو يقول ذي
واشار للأخرى وقال وهذه
فتفرّس الاختان كل منهما
اذ منذ خلق الله دنيانا الى

فكرت تفوت تصور الانسان
رقصت له الجنات بالسكان
عيداً له سجدت ذوو التجان
غيد الفضائل زينة العمران
فاق الصغار الكبريات الشان
بذري على النسبات في الاغصان
وشقائق في طاعة الرحمان
دان الحديث تبادل الاقران
اذ كان ينظر نظرة العرفان
لا تعرف الاخرى فتألفان
بلغوا من العمران خير مكان
يد كل خور منهما بينان
في الارض تدعى ربّة الاحسان
تدعى كذلك ربّة الشكران
في اختها كتفرّس الحيران
ذا اليوم لم تتواجه الاختان

وعن قصيدة للشاعر المشهور اللورد بايرون وسماها الممرّ .

جناية الحلم

بحق من يا مُنيّتي اعظم فيك فتنتي

لا تفضي فلم تكن	جنايتي في يقظتي
نعم حَلَمْتُ أَنِّي	قد نلت أقصى بغيتي
وان قلب من أحب	هَامُ في محبتِ
جريمةُ أَثْمَتُهَا	يا ويحها جريمتي
لكلها لقد جرت	سِيَدَتِي في غفلتي
وشوف آقتص من الـ	رُقَادِ يا مليكتي
بل فاصفحي عن ذنبه	فَانَهُ وسيلتي
اذ اني لولاهُ مِنْهُ	كَلِمَ أَفْزُ بلمحة
ولا حَلَمْتُ بِهِوا	كَلِمَ في وهذا مُنِيَّتِي
أمر تجي هو الكِصْبُ	عَاقِلٌ في اليقظة
وكيف يمتدُّ اليه	كَلِمَ بَصْرٌ يا مهجتي ؟
ان البُكَ يشغلني	في يقظتي عن نظرتي

...

اليك يا ملاك رقة	دقي وراعبي مقلتي
ادعوفة ثقل فوق اج	فاني وغيب فكرتي
وابسط على عيني من	جودك اهني نعسة
لعل حلم الامس يبه	دولي بهذي الليلة
فله ما ابداع ما	ارى بتلك الخلسة
واي مشهد يبه	ن لي بتلك البغلة
ارى بعين الروح ما	يُسْكِرني من دهشتي
لا يستطيع وصف غبه	ظمتي لسان الأفة

ومنزله سَكَنَتِهِ
ولا وصولَ للسما
وقبل ان النومَ في الـ
فصرتُ من اجلك ام
عساي أن اذوقَ من
اذ لَذَّةُ اللقاء في
اضحى سماء البُقعة
قبل يوم النفخة
حق شقيق المبتلة
وى ميتتي او نومتي
مرأى شبيه اللذة
سماكِ فوق قدرتي

...

اراكِ قد قطبت لي
كانك استعظمت لي
ان كان ذنبي في منـا
رحماك حسبي ما ارى
اذ كل ما شاهدته
ما كان الا حُلماً
ولم افز من حسنه
وجهك يا اميرتي
بلوغ تلك النعمة
مي موجباً عقوبتي
في يقظتي من غصتي
من نعمة وغبطة
قد مر مثل طرفه
الا بشبه اللعنة

...

وقد ترين في الذي
ما لا يفي جنابة
أواه لو علمت ما
منذ غدا طيفك لا
وآ كدرى وآلي
حسبي بها عقوبة
شرحته من قصتي
جنيتها في غفلي
اشمر عند هبتي
يمرني في هجمتي
وأحسرتي وأوحشتي
أجزى بها في يقظتي

يَا مُنِيَّتِي يَا رَحْمَتِي يَا جَنَّتِي

وقال ابان ذبح الارمن في اطنه والتعريض في حلب على مثل ذلك قُبَيْل

خلع عبد الحميد سنة ١٩٠٩ :

قف بالديار وحيّـها	واسأل معاها الوسـيعة
هل مال عنها للسوى	من حبّـها اضحى غريـة
يرضى المذاب بقرّبـها	ويرى الشقا فيها نعيمـة
صبّ وان نُسبت الى	حمص منابتـه القديـة
فلانت يا حلب الـمـلا	وطن لأسرتـه الصميـة
مضت القرون ولم تزل	بربوعها ابدآ مقيـة
حلبُ حالك الله من	عين ابن فاجرة اثيمـة
يا مسقط الرأس العزـي	ز وذرّة الحسن اليتيمـة
يا موطن الادب الصـحـي	ح وجمع الشيم الكريمـة
اهلوك خير الناس أخـ	لاقاً واصدقهم عزيمـة
اهل التقى اهل الصلا	ح وكل منقبة وسيمـة
وجوارهم خير الجوا	ر وودهم اسنى غنيـة
ما اخلفوا عهدآ ولا	خانوا ولا ارنكبوا جريمـة
يفديك يا حلب الكرا	م بكلّ ذي قدر وقيمـة
افديك بالنفس العزـي	زة وهي في عيني عظيمـة
لله منك رياض حـ	ن نورت من بعد ديمـة
وجنان انس حورها	وعهودها ليست ذميمـة
ورعى الاله منازلآ	وحى جواسقك الفخيمـة

ولدي واهلي في ربو عكـ ثم ارحامي الرحيمه
وذوو ودادي والألـ نكران ذكرهم شتيحه
من كل ادوع ماجد حر المودة والشكيمه
ومهدب عاشـ برتـه فخدمت منه خير شيمه
حبيبت يا حب الذما م وكل مفخرة جسيمه
ادعو لرغدك كآما ذكر الكرام لنا كريمه
وأحب اهلك انهم اهل الخلال المستقيمه

وقال مداعباً صديقاً اسمه خليل مع التضمين والاكتفاء :

اضاع عهدي ولكن سرتي غدا في يديه
فلم ألمـ بحرفـ وقلت شوقي اليـه
في كل حال خليـلي يا فار كوني عليه

ومن تشطيره وهو من شعر الصبا :

قد طال بعدك والفرام اعلي والشوق الا عن هواك اضلاني
والصبر من فرط الدلال املني يا من هـواه اعزّه واذلاني
كيف السبيل الى وصالك داني

قابي عن السلوان اضحى دائماً وعلى وصالك بات فكري دائماً
لم قد حكمت بأن أعدب دائماً وتركتني حيران صبا دائماً

ارعى النجوم وانت في عيشه هني

اجريت من عيني دمعاً احمرأ وكسوتني سقمأ ولوناً اصفرأ

قد كان عيشي قبلَ حاكِّ أخضرا يا لستني ما قد عرفتُك في الوري
او كنت يا بدر الدجى واصلتني

ومنه

وظننتُ عهداً كان أديمَ بيننا يوهي الوشاة وعقدُهُ لن يوهنا
لكن رأيتُ النكثَ عندك هيئنا هبَّ النسيمُ فلتَ والغصنُ انحنى
ابنَ اليمينُ وابنَ ما ماعدتني
فاذا صبرتُ فان صبري مُهلكي واذا بكيتُ فما مرادي مُدركي
وأراك قد صدقتَ عني ما حكي فلاقمدي على الطريق واشتكي
في زري مظلوم وانت ظلمتني
واقولُ هذا الريمُ يا اهل الحجى تحيدَ الخديمة في المحبة منهاجا
ولأكثرنَّ بصدق المرء الهجا ولادعينُ عليك في غسق الدجى
يُبليك ربي مثلاً ابليتني

ومن موشحاته في وصف الشوون الطبيعية والاخلاق والتأريخ والعلم
وهو مما نشر في مجلة الضياء :

شباب الربيع

عندما النورُ تدلى كالسجوف ورميت ذراته قلب الظلام
وعرا البدر اكداداً كالسجوف ونسيم الفجر نادى للقيام
نهض السائب يمدو للسفر
ولنيسان نشاط وجه ال ليس يحكيه سوى عصر الشباب
وسهول الدرب مع تلك التلال اصبحت من نبتتها تحت نقاب
لم يدُر في وشيه فكر بشر

جفري صاحبتنا دون الحبيب حائراً من حسن هاتيك النقوش
 قال ما هذا أدرك أم ذهب أم لآل نثرت فوق عروش
 أم نجوم أم ندى مثل المطر
 وهو بينا يقطع السهل الفسيح قد حكى بحراً تبدت خضرته
 نفحت ريح بها أرواح شيوخ ما ج منها النبات ترهوا نضرته
 فهو موج النبات يجلى للبصر
 وعلى تلك الرُّبى النور استبان بعدما اردية الليل انطوت
 مذعروس الكون بل حسن الزمان ربّه النور على العرش استوت
 وغدت تسحب اذبال الخفر
 عند هذا الارض ضجت بلاد آه انجالي حسنها فعل شكور
 وغدت ناشرة نحو الملا من بخار امان ما يحكي البخور
 وتلت ازهارها الحمد سور

ومنه

ما الذّ العيش عيش المرء في بقة قد جمعت كل الجمال
 من جبال آثرها من قرقف ومروج ورباض ودغال
 واذا اشتى الى وادٍ قفر
 ونعيمات له من سمها ولبها خير مطموم مقيت
 ودجاجات يرى في كنها كل يوم طارف البيض شقيت
 واذا ما شاقه اللحم نحر
 ونباتات له في زرعها بغية العامل للريح الصريح

وله من بعد ذاك في قطعها لذّة الآكل ذي الجسم الصحيح

ناعم البال خلياً من كدر

لا يرى أيّان ما سار حسود يظهر الودّ على بغض كين

أو لثيم الطبع مكّاراً كنود يتحامى شره في كل حين

أو عدواً أو كذوباً محترق

أو جهولاً ساحباً ذيل الغرور يحسب الدنيا له قد خلقت

يتباهى بفساد وجور زاعماً قريته قد رزقت

من ذكاه أفكاره علم البشر

أو نظام الشمس مملوكاً رقيق ما له شغل سوى خدمته

فهي لا تطلع إلا إذا يفتق والداراي قن في رقده

سرجاً تطفأ إذا أصبح انفجر

أو كأن الكوكب با قد قدحت عن يريق لاح من ضوء سناه

وقمى إيدرسن لو سنحت لسما آرائه فدياً اتاه

خطرات منه مرّت بالفكر

أو كأنّ الجذب قد أفضى إلى علمه بالسرّ دون العالمين

أو كأنّ الكيمياء وقف على حده إذ حلّ لغز الأقدمين

فأحال الصقر تبرأً مختبر

ومنه

ورأى من خلفه داراً يسير يحبّوش ملأت تلك الجهات

بحسب النصر مع الجمع الكبير لم يدّر في فكره أنّ الثبات

وصواب الرأي عنوان الظفر

ومنه

مذراى اليونان من تلك الجبال فيلق الفرس تصدى للصعود
 رشقوه بحجار ونبال فدا الرعب بهاتيك الجنود
 وفريق بفريق قد عثر

ثم قام المَرْج واشتدَّ الجلاذ وعلا الموج الى السبع الطباق
 وملا المقع الفيافي والنجاد ومجال الدفع بين الفرس ضاق
 فرأوا إبدارهم رأس الحذر

ومنه

فاذا بالبحر قد بان له ما له في الارض من شبه عظيم
 وما قصاه بدا ما هاله اذ رأى الشمس لها وجه سقيم
 تستغث الخلق في دفع الخطار

ورآها هطت فوق العُباب مثل عصفور امام الافه وان
 ثم عجز الموج يملو كالمضاب لابتلاع الشمس في بضع ثوان
 يا أبركان ببحره قد فغر

وقال

إن يحزن يوم مماتي	التقيه	بشراقي
صادق البأس قوي	جأش	عند النائبات
ذقت من لذات دهرى	كل	انواع الهبات
ان تسو منه فعال	كم له	من حسنات
كل ما بي من حميد	وشعور	وصفات
خالدا اودعته في	كل	نفس من بناتي

كنتُ فوقَ الأرضِ روحاً ساكناً هيكلي ذاتي
فيه تبدو سكناتي وهو بجلي حركاتي
فتضاعفتُ فروحي هي في خمسِ بناتي
بل لكلِّ مثلِ روحي وهي حسنُ الكائناتِ
لخيانتي في بناتي ان يحينَ يومُ مماتي
سنة ١٩١٨

ومما نظمتُ في دمشق وبعث به الى حبيبتي شوقٍ ويعرض ببعض الكبراء
فيها وسماها

الشامية

ان صدَّ طيفكمُ او شطَّاتِ الدارِ فالصبُّ يكفيه بعدَ البعدِ تذكُّارُ
قد كانَ يوئسني منكم خيالُ كرى فادرِكتهُ من الحسادِ انظارُ
فاعتضتُ منه بذكرٍ غيرِ مفترقٍ من دونهِ حُجبٌ عندي واستارُ
يُقيمُ لي كلَّ وقتٍ من جمالكُمُ عوالمًا كلها حسنٌ وانوارُ
لنحردُ الذهنُ منها كلَّ فاتنةٍ يضيقُ عن وصفها لفظٌ واشعارُ
تمثلُ العينُ منها آيةً عجزت عن أن يُحيطَ بها عقلٌ وافكارُ
في كلِّ وقتٍ بسحبي نعمةً لكمُ ما أن يُشابهها لحنٌ واوتارُ
وطولُ يومي اتجيبكمُ كأنكمُ في بؤبؤ العينِ سُكَّانُ وزوَّارُ
وليسَ يوحشني ما دامَ يوئسني تُدْكاركمُ وطنٌ يوماً ولا جارُ
ومنها

امدُّ طرفي نحو الجوّ ابصرُ ما يَلدُّ حتى كأنَّ الجوّ سَحَّارُ
فلا ادرى غيرَكم في الكونِ اجمعهِ ولا سوى قربكم للقلبِ اوطارُ

تفيض لي منه لدات واسرار
كان اميال ذاك العهد اشبار
وفوق اغصانها تفتّر اطيّار

هذي حياتي افضّيتها وذكركم
بردّتي نحو ايام لنا سلفت
ولا ارى غير جنّات تطوف بها

ومنها

كواكب تنجلي فيه واقار
فكل عامي نيسان وايار
عنكم وكلامي اسماع وابصار

وان دجا الليل عندي شبه حسنكم
ارى ربيع شبّابي غير منفصل
وكل ما بي روح غير مفترق

ومنها

في قسمة الحظ اقبال وادبار
ما كان هل في علاهل النّهي مار

اذا تأملت في ذا الخلق حيرني
وقولهم ليس في الامكان ادع من

ومنها

تسود فيها على الاخيار اشرار
يناله في الورى لص ومكّار
الا قليل لهم في الخير اثار
عصابة علمها زور وانكار
والظالمون لهم رهط وانصار
هم القليلون ان تصدقك اخبار

في كل يوم لاهل الكذب شعوذة
كانما نعم الدنيا غدت سلّاباً
من اقدم الدهر شرّ الناس يحكمهم
اذا شكوا الجور اهل الفضل غالطهم
وان فشا الظالم كان الجهل خادمه
والفضل انصاره في الارض ما فتشوا

ومنها

يوم الشهادة والاظهار اضمّار
وفارس يوم زور القول مغوار
عمى الزمان فللايام ادوار

ما بال مقتحم العلياء مرتعد
اعاجز وجبان يوم تركية
لئن صبرت على قوم ادا لهم

ليسمعنُ عداةُ الفضل من نَفْسِي
وعجزيات. اذا ما قُتْ انشرُها
رعداً اذا عاينوا ابراقهُ طاروا
عنهم تضيقُ بها صحفٌ واسفارُ

ومنها

أعزُّ على الفضل ان يُسَي وناصره
أعزُّ على المجد ان يُسَي واربعه
قوم اذا استجدوا يوم الوغى خاروا
مراتماً سامها دونٌ ومهذارُ

ومنها

سقت عهادُ الرضى الفيحاء ما نضجت
بيض الوجوه ببرج المجد قد طلعتوا
لولا الألى ملكوا روعي لما رضيت
حتى يحوزَ نصابَ المجد افضلنا
بها لاهل الحجى والفضل اثمارُ
وعندهم لذوي الاقدار اقدارُ
بالين نفسي ولا الشبهاء لي دار
ويمتلي صهوة العلياء مفوار

سنة ١٩٢٠

ومن اخوانياته وكتب بها الى صديق انقطع عن زيارته لحشونة بدت
من خادم اسمه حبيب :

أين ذنبي اذا آ. آ. الحبيبُ
خادمُ صاغه المهيمنُ فظاً
جاهلٌ قد آسا منك اعتذارا
كنت ارجو أن المحبة تمحو
ذاك شرع الهوى وانت إمامُ
عدو وزر مخلصاً عليل اشتياق
وعلى مَ المجران يا ذا الاربُ
اين منه التأهيل والترحيبُ
انا عن ذنبي اليك اتوب
الف عيب وان تُقل الذنوب
ليس يخفى عليك منه مغيبُ
مثل ذا الوقت لا يغيب الطيبُ

وكتب الى صديقه احمد زكي باشا العلامة الاديب المشهور يداعبه عند

زيارته القاهرة سنة ١٩٢٠

اصحابنا في مصر قد ضيّعوا اصحابهم واستصحبوا الذكرى
سألتُ عنهم واحداً واحداً فنلتُ عنهم احسن البشرى
كانهم قد حسبوا السعي في جمع الثراء الفاية الكبرى
وضمّنوا ان نلتقي بعدها لأنس في الموعودة الاخرى

ومما كتبه على صورته

رسوينا تفنى واجسامنا تلى وهذي سنة الكون
وليس يبقى غيرُ اثارنا من لي باثارها صوفي
وقد تجاوزنا بهذه الترجمة الحد الذي قطعناه على نفسنا بالاختصار، ولكننا
نزلنا عند الحاج بل حكم بعض الاخوان الافاضل والله درّ القتل
وعين الرضى عن كل عيب، كائلة كما ان عين السخط تبدى المساويا

تم

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	٢	مقدما	مقدماً
٦	٢	المومى اليه	الموماً اليه
٨	٢	في وت	في بيروت
٨	٨	ردى	درى
٨	١٨	ترجمة	تعريب
١٣	٧	يعني	يعنى
١٤	٩	اجرى	اخرى
١٦	٧	تبختره وآزه	تبخترَ وآزه
١٦	٧	فا ضر	فا ضر
١٦	١٢	اليها	اليهما
١٦	١٧	يلاقى	ويلاقى
١٧	٢	دعا	عماد
١٧	٨	بالانقباص	بالانقباض
٢١	٤	خرجب	خرجت
٢٣	١١	الواحدة	الوحدة
٢٣	١٦	هداة	هداة
٢٤	١٩	وغيرها ولا	وغيرها شيئاً ولا
٢٥	٥	وعكفه	وعكوفه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٩	٧	بعدهم	بعدهم
٤٠	٨	المعاصرة	المعاصرة
٤٥	٩	يكان	...
٤٨	٦	عونا	عن
٥٤	٣	تيزك	نيزك
٥٦	١٧	يتشني	ينثني
٥٧	١٦	نسجب	نسجت
٦٦	٨	والمثال	والمثال
٧٧	١٢	سير	سبر
٧٧	٢٠	مصر	مصر
٨٠	١	خيال	خيالي
٨٠	١٤	السماء	اسماء
٨٧	٢١	بالنأء	بالنآي
٩٥	١٨	١٩٨٨	١٩١٨
٩٩	٤	مق	متى
١٠٢	١٢	٩٢٠	١٩٢٠
١٠٦	٣	الروّس	الروّاس
-	١٣	قام	اقام
١١٢	١	السحر	السحر
-	١٤	لَا	الآ
١٢٤	٧	نظيبي	نظمي

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٦	٩	بطائفة	بطائفة
١٣٢	٤	التيه	التيه
١٣١	١٠	فذك	فذاك
١٤١	١٦	المجد	بالمجد
١٤٢	٥	يراها	يراها
١٥٠	٩	الوفاء	الوفاء
١٥٣	١٩	الرجل داهية ومثله	الرجل داهية ومثله وقالوا ان الرجل
			داهية ومثلكم الخ
١٥٤	٥	من نودر اعلى	من نودر اجلى
١٥٨	١٤	فنزع ستر	فانزع ستر رأسك
١٥٩	٩	وانعوب	او انعوب
١٦١	١٦	اقبية	اقبية
١٦٥	١٤	الميوم	المحوم
١٦٦	١٠	ذاكرة	ذاكرة
١٦٦	١٣	ام ناسبة	ام انت ناسبة
١٦١	٢١	جيل	خيل
١٧١	١٧	veus	veux
١٧٨	١٧	فاقتفاهم	فاقتفاهم
١٨١	٥	اسمي	اسمي
١٨١	٥	التجان	التيجان
١٩٠	١٨	تذكركم	تذكركم

To: www.al-mostafa.com